(Arab)
BP194
.1
.xK48

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 074438522

al-Khurāsānī, Muḥammad Ibrāhīm ibn Riḍā

al-Ihtirāz

كتاب
الاحتراز عن مفتريات حسن الايجاز

لمحمد ابراهيم الخراساني ابن رئيس التجار

احد محصلي مدرسة الحقوق في طهران عاصمة البلاد الفارسية

(نشره)

على اثر نشر الانكليز في بغداد رسالة حسن الايجاز في ابطال اعجاز القرآن

دحضا لشبهات تلك الرسالة ومفترياتها - وقد قدمه مؤلفه هديه لحضرة العلامة المتبحر المدقق حجة الاسلام

الشيخ محمد

نجل مولينا آية الله الخالصي

بعد ان ابعده الانكليز قهرا من البلاد العراقية الى ايران

(Arab)
BP194
.I
.xK48

كتاب
الإحراز عن مفتريات حسن الإيجاز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله هداة الخلق
الى نهج الحق وبعد فان اجمل حلة للانسان هي حلة الدين
اذ بها يمتاز عن الحيوان وهي استعاذه التي بتوخاها الفلاسفه و
الاجتماعيون لهذا النوع الذي شرفه الله على سائر المخلوقات
الاوضبته بما منحه من شرف العقل في مدركاته والاخبار في
افعاله وَإِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ لما اشتمل عليه من
القوانين الكافلة لسعادة الدارين واعمار النشأتين حيث جمع
بين التهذيب العقلي والاخلاقي فقيد شطط الانسان في
معتقداته وافعاله واطلق له الفكر والعمل بما لا ينصر النوع البشري
فكان وسطا بين غلو اليهود بالقتلة وخرافات النصرانية في

الاعتقاد والأباحة الفاضحة فى الأفعال لم يقل بمفتعلات بودا واختلافات برهما وكريشنا واجرم الصالحين من دعاة الاصلاح بما جاؤا به من عند الله كابرهيم وموسى وعيسى صدق النبيين وكذب الوثنيين والدهريين الذين جنوا على الجامعة الانسانية وكانوا دعاة الشقاء فى العالم

وان فريقا ممن جبلوا على الفساد وكرهوا الاصلاح حاربوا الدين الاسلامى لانه الحائل الوحيد بين المفسدين وافسادهم فدعوا الى الالحاد ناره والى النصرانية التى هى احد فروع الوثنية اخرى والغرض من كل ذلك حرمان البشر من السعادة الابدية ودعوتهم الى الشقاء والعناء والتسربال الانسان سربال الفهقرى الى الوحشية والهمجية والتخلق باخلاق القرون الخالية

وان اكبر باعث لهم الى تعذيب البشر واصلائه فى نار الشقاء هو ما تمكن فى نفوسهم من حب الاستئثار بالسطوة والسلطان وشيع استعمار البلاد واسترقاق العباد من غير رافة ولا شفقة باخوانهم فى البشرية .

على هذا جرت سنن الدول المتغلبة والامم الحريصة الذين هم اضر على الانسان من جرائم الاوبئة المهلكة فبيناهم

2271
.509406
K5265

يصيغون الارض من دماء الضعفاء ويكدسون الفضاء بجثث
الثواكل والمظلومين وينزلون بالانسان انواع البلاء اذ تراهم
يبثون المبشرين في شرق الارض وغربها لصرف المسلمين عن
السعادة (الدين الاسلامي) الى الشقاء — اما النصرانية او
الالحاد — والغرض من كل ذلك تسهيل وسائل الاستعمار ولو
باهلاك النوع الانساني باسره وانزال انواع العذاب به .

ولم يكتف منهو موا الاستعمار من ذلك بالاعمال حتى قيدوا
المعاهدات السياسية بتلك القيود ومنه ما جاء في المعاهدة
التي لفقها الانكليز ليقيدوا بها العراق في شهر صفر من هذه السنة
فان احدى موادها تصرح بالتبشير والمبشرين من دعاة النصرانية
تكاثر هذه المعاهدة وبثته لاسياسته ، وما كادت تنتشر
هذه المعاهدة حتى نشر اعداء الحق والانسانية كتابا سموه
(حسن الايجاز في ابطال الاعجاز) وكان غرض ناشريه التمويه
بزعمهم على البسطاء
في انكار اعجاز القرآن توصلا الى غايتهم الدنيئة الذميمة وهي
حرمان البشر من السعادة والاصلاح بغية نشر الفساد وتوطيد
دعائم الاستعمار المهلك للعباد .

وحين قرائته رأيته مملوء بالهذيان الفاضح فوددت ان
اغض الطرف عن نقده تحرجا عن التدخل فى مناظرات الغاوين
وتراهة عن ان ادنس القلم بذكر مفتريات الدجالين ولو فى مقام
الردع عنها وبيان مبلغ ماحوته من التمويه والتزوير ، الا ان
اصرار اخوانى من محصلى دار الفنون فى طهران عاصمة البلاد الفارسية
الجأنى الى ان اكتب هذه الرسالة الوجيزة لبيتين للأبرياء بين
ان اعداء الاسلام لم يستندوا فى مطاعنهم على الدين الاسلامى الحنيف
بل الى التمويه والتزوير والكذب فانه سلاحهم الوحيد الذى
اعتمدوا عليه منذ بدء الجدال مع المسلمين .

وانى لست من الناطقين بالضاد لكنى شرقى اكتب من اليمين
الى اليسار ودينى الاسلام انتحلته لا عن تقليد بل وجدته هو
الموصل الى السعادة وراية المخلف عنه فى شقاء وهلكة وعلمت
ان العداء له غير مقتصر على اعداء لاهل هذا الدين بل هو شامل
للبشر اجمع بصدهم عن نهج الحق والهداية الى طريق العمى والباطل
والغواية .

فالدفاع عنه والمناظرة فيه فرض على كل انسان لاسيما اذا كان
شرقيا علم ان الطعن فى الدين الاسلامى وكتابه المجيد جعله

الغربيون مقدمة لاستعمار الشرق واستعباد الشرقيين ؟
فلا عجب ان يقف الشرقي ستما اذا كان مسلما مدافعا عن تدجيل
اولئك الذين لا تأخذهم بالانسانية رأفة ولا رحمة .

وانما العجب كل العجب من ان يسكت العرب الاباة عن مثل
هذا الضيم ويتركوا مجالا لانتشار امثال هذه الرسائل في بلادهم
مع ان مجدهم وشرفهم انما هو بالاسلام وليس الحافظ للغتهم
والمشرف لها على سائر اللغات والناشر لها في الاقطار الشرقية
والغربية الا القرآن وهل من سبب لشرف لغتهم او وسيلة
لنعيمها غير ذلك الكتاب الذي يقدسه اربعمائة الف الف من
مختلفي اللغات في العالم :

وهم مضطرون الى تعلمه وبسبب ذلك تكون اللغة العربية لغة
اربعمائة الف الف انسان بدل ان تكون لغة ستين الف الف
عربي فتكسب عن الاهمية مكانة تضطر جميع سكان المعمورة
الى تعلمها ويزيدها شرفا وشيوعا ما اشتمل عليه القرآن
الشريف من الحكم الالهية والقوانين الاجتماعية التي هي منشأ
السعادة في هذه الحياة والحياة الاخرى

انا لا اوجه اللوم الى العرب المسلمين بل الى كل عربي مهما

الجامعة العربية والقومية اذ لا قوام لقومية العرب الا بالقرآن
ان للقرآن فضلاً على كل اهل اللغات حيث كان هو السبب الداعي
لعلي عليه السلام الى وضع قواعد العربية ثم استخرج من تلك
القواعد قواعد لجميع اللغات فعلى كل انسان ان يعترف بهذا
الفضل للقرآن ويقدسه من هذه الجهة ، والعرب اولى الناس
بذلك لان مجدهم وشرف لغتهم منحصر به ، فكيف يقفون امام
من يريد اذهاب مجدهم وهدم اساس شرفهم موقف الساكت
المتحير او موقف البعير الصابر على الخسف والهوان .

ولست ادري القوة الاستعمارية المتغلبة كافية لاعذارهم
فان القوة اذا بلغت من الطيش والغرور هذا المبلغ يعلم منها
انها مصممة على اهلاك العرب واذهاب مجدهم والموت بالدفاع
خير للعرب من ان يصبروا على هذا الذي يعقبه موت الملة بأسرها
والذي دعا اخواني الى الاصرار على الجواب هو حب الحق
واظهاره ونصرته واعزازه والحرص على التمسك بما به حياة
البشر ونجاتهم وانتقاض الباطل واذلاله فلم ار بداً من اجابتهم
وقد تحريت هذه الرسالة - الاحتراز عن مقتضيات حسن
الايجاز - واسئل الله تعالى ان يرشد بها الضالين ويثبت

المهتدين انه على كل شيء قدير وهو حسبي ونعم الوكيل

نظرة عامة في رسالة حسن الإيجاز

ن على الحق مسحة من نور يهتدي اليها من جعل الله له نورًا
وبالفها كل احد وكثيرًا ما يصعب تعليلها ولا يعرف الانسان
اكثر من كونها نورًا ، وان على الباطل لطخة من ظلام ينفر منها
العقلاء ويشمئز حشون منها وكثيرًا ما لا يمكن تعليلها ولا يعرف
الانسان اكثر من انها ظلمة فما اشبه هذا الادراك بالذوق الذي
لا يعرف منشأه الا ان حكمة الله جل شأنه قد جرت في الحق
والباطل على سنن لا تقتصر على هذا الذوق فالحق مهما موه وشوه
يظهره الله بادلته الواضحة والباطل مهما ذوق وحلي اظهر الله
تفصيله ببراهينه الساطعة .

ومن ذلك هذه الرسالة الفاضلة من وجهتها العامة
والخاصة

والوجهة الثانية تأتي الاشارة اليها عند انتقاد مفردات
الرسالة ، ولكني اتكلم الان في انتقاد هذه المزاعم الباطلة

من الوجهة الأولى .

اشتملت هذه الرسالة على الكذب الصريح والبهتان والتمويه الذى لا يخفى حتى على البسطاء البُلْهِ ولا يوجد فيها برهان عقلى ولا نقلى على مدعى بل كلما فيها دعاوى فارغة بلا بينة ولا علم ولذلك كثر فيها امثال العبارات الآتية : فتأمل فيما هذا وانصف ان الله يحب المنصفين فتأمل واحكم ، فلينظر من يرى وليتأمل اولوا النهى ، والعلامة (سنت كلر) ذكر ذلك فى كتابه فاغنانا ، وكثير من كتبه النصرانية ذكروا ذلك ونحن سنذكر شيئا منها فى كتاب مخصوص ، فتأمل وتعجب ، وانظر بتبيانك كثيرة على ان القرآن ليس من وحى الله ،

الى غير ذلك من العبارات الفارغة التى يعتمدها كل من يكون بصدد انكار الحق ولا يتبنه له الا قول تأمل ، انصف ، ارجع ، فكر - فهم - لا شك ولا اشكال ، هذا معلوم بالبديهة كان البرهان القاطع والدليل الساطع ليس بشئ وراء هذه الالفاظ الفارغة وهى تغنى عن كل برهان ،

ومع خلو هذه الاوراق الساقطة من كل برهان ولو كان سفسطيا تراها مشتملة على تمويه يحجبه طبع كل انسان الا

المتشبهين الذين اعتادوا امثال هذه التمويهات لصرف الناس عن الحق بلا خجل ولا حياء ولا شفقة ، فترى المؤلفين لهذه الرسالة ينقلون الاعتراضات التي يجدونها في كتب التفاسير والنحو وغيرها من الكتب الاسلامية التي اعتادوا تأليفها ذكر الاعتراضات التي تخالج مخيلاتهم مقدمة للجواب عنها توضيحا للمسائل التي يكتبونها فيذكرون الاعتراض بلفظ (فان قلت) او (لا يقال) ويذكرون الجواب بلفظ (قلت) و(لا انه يقال) ، وهذا نوع من التحرير اعتاده مؤلفوا المسلمين لتوضيح مسائلهم . الا ان رجال المتشبهين جاءوا بعد ذلك وذكروا الاعتراضات تمويها بانها من بنات افكارهم ولم يذكروا الجواب لتشويش اذهان البسطاء من الجاهلين لانهم لا خبرة لهم بكتب التفاسير والنحو وغيرها ،

فتراهم يذكرون ما يجدونه بعد لفظ (فان قلت) ويعمى اعينهم عن ما ذكر بعد لفظ (قلت) ، وليس هذا التدجيل مقصورا على هذه الرسالة بل هذا دأبهم المتشبهين في كل ما ألفوه من المطاعن بزعمهم على القرآن سواء في هذه الوريقات وفي غيرها .

وعلامة الباطل الواضح في هذه الوريقات الملتقطة

ممن ان مؤلفيها حاموا حول امر يشهد الحس والوجدان بيطلانه قبل النظر فى اى دليل والمطالعة لاى كتاب والغور فى هذه المصنفات . وذلك انهم لم يقتصروا على انكار الاعجاز فى القران بل عدوه من قبيل الهذيان الذى لا يصدر من عربى وزعموا انه مشتمل على الاغلاط النحوية والصرفية واللغوية والخلل فى تركيب الجمل والاعمال من جهة المعانى وبالجملة حاولوا ان يعدوه من قبيل كلام الاطفال الذين لم يحسنوا بعد الكلام او الاعاجم الذين لا خبرة لهم باللسان العربى ، حتى تجرأوا وسموا القران الشريف البسيط ،

وقالوا : ان ائمة المسلمين اعتادوا ان يستنبطوا من اغلاط القران قواعد فى فنون اللغة ، وزعموا انهم وصلوا الى عالم يصل اليه القران وادركوا فوق ما ادركه فاعابوا على القران اياث وقالوا : انه لو قال كذا لكان احسن ، ومن ذلك قولهم لو قال : وانبتكم من الارض انباتا بدل نباتا والزيتون والتين بدل والتين والزيتون ، الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا بدل الحمد لله

(١٢)

الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما . بسم الله الرحمن الرحيم بدل بسم الله الرحمن الرحيم ، لانا خلقه نوم ولا سنة بدل لا تاخذه سنة ولا نوم وغير ذلك — لكان احسن ، ولم يقتصروا على ذلك بل قالوا : ان فى القرآن الخطاء كبيرا وضعف لغة وتركيب من نصب المرفوع ورفع المنصوب ، وغير ذلك

وان هذه المزاعم وانزال القرآن الشريف والحط من كرامته الى هذا الحد ليس بالأمر المزعج الا من وجه الصراف هؤلاء المتجاسرين عن الحق واصرارهم على الباطل والعناد ، والا فان ذلك فى جنب المسلمين القائلين باعجاز القرآن اكثر مما يكون فى مقابلتهم .

وذلك لان محمدا صلى الله عليه واله من العرب الفصحا نشاء من قبيلة عربية فى بلاد عربية مشهورة بالفصاحة فلا يمكن ان يجهل من اللغة العربية ما يعرفه هؤلاء المتطفلون عليها ، او انه لا يعلم منها الا بمقدار ما يعلمه الاغماء او الاطفال الذين لا يحسنون الكلام ،

على ان القرآن تداوله العرب المخضرمون والمولدون واعقابهم ثلاثة عشر قرنا ولو كان هذه المثابة التى انزله

الیها هؤلاء المعاندون المتعصبون لرتبة العرب ولهزؤا به
ولاستحالان یتفاداله امثال علی والخطیئة ولبید والفرزدق
وجریر والکمیت والحمیری والحریری والرضی والمتنبی وابی تمام
والبحتری والمهیار وغیرهم من فطاحلة الفصحاء والبلغاء .

هذا فضلاً عن ان العرب اعجبوا بالقران وانزلوه منزلته
التی هو بها واذعنوا انه فوق کلام المخلوقین وبقی هذا الاعتقاد
بین العرب ومن یعرف اللغة العربیة اکثر من الف وثلثمائة سنة
وبعد ان طوی القران هذه المراحل واجتاز کل عقبة
اقامها فی وجهه الملحدون واستولی علی کل معارض واخذ
بازمة الباب جمیع الفصحاء والبلغاء جاء فی القران الرابع عشر
لظهور القران شذاذ من عوام النصاری وهم لا یحسنون
من اللغة العربیة مقدار ما یتکلمون به فاخذوا بالاعتراض
علی القران جهلاً وعناداً وانزلوه عن کلام ادنی العرب .

ان من راعی هذه الجهات علم مبلغ تعصب هؤلاء الذین
عشقوا الباطل واصروا علیه واتضح له قبل مراجعة الادلة
والغور فی کلامهم الساقط ان هؤلاء القوم لا همهم الا
محاربة الحق واخماده وذلک عن ای برهان یقام علی ابطال

مدّعاهم

لوان هؤلاء المعاندين قصدوا الى الاعتراض والايراد على اعجاز القران فقط معترفين انه عسا الكلام فصحاء العرب لكان لردهم ومناظرتهم وجه ولكن التحدي بابى الانسان يشع نوره فمناقي هؤلاء الجهلة الى اخراج القران عن كلام العرب وانزاله منزلة كلام الاطفال فابطل كلامهم نفسه بنفسه واراح المناظر عن رده ملاحظًا ان محمدًا عربي واذا اراد اثبات دعواه بكلامه فلا بد ان يأتي باعلى ما يمكنه من الكلام فما الذي يدعوه ان يتشبه في كلامه بالاطفال وهب انه لا يحسن اللغة وان كان من فصحاء العرب !!

فما الذي دعى هؤلاء البلغاء الذين يعدون بالوف الوف ان يصدقوا به وينقادوا اليه ، هل يمكن ان نقول انهم غفلوا عن غلط القران كلا فان خطأه على زعم هؤلاء الجاهلين ليس بمثابة يغفل عنه الوف الالوف من البلغاء في عصور مختلفة طويلة الامد كيف وقد ادركه اعاجم الهند والسند ومنشرقوا الانجليز !!

اذا لاحظت هذه الجهات التي ذكرناها ايقنت ان

نور الحق اعشى ابصار هؤلاء المتعصبين فتكعوا فى وهدة الباطل وحادوا عن الطريق المستقيم فاوغلوا بالهذيان وهم لا يعقلون وجاؤا بكلام هو من قبيل الجنون او احكام المجانين وهم لا يشعرون واغنال ذلك عن مراجعة الدليل وانتقاد كلامهم جملة جملة فاته اوهن من ان ينظر اليه فضلا عن ان ينتقد

ومع ذلك فلا ينبغى الا اجابة اخوانى طلاب دار الفنون الى ما سئلوا منه من انتقاد هذه الورقات بالتفصيل والله اعتمد وهو حسبى ونعم الوكيل .

نقد المقدمة

(وهو فى مواضع منها)

(١) نشر الكتاب باسم نصير الدين الظافر وهو اسم مختلق اذا عتاد الفتيسون اختلاق الاسماء الضخمة لنسبة مفترياتهم وملفقاتهم اليها . كما انهم يغيرون اسم المطبعة التى يطبعون فيها الكتاب ومهما كان فان اسم الانكليز لا يغتر فى تلك الملفقات كما نجد فى هذه الرسالة : طبعت فى المطبعة الانكليزية الامبركانية

(٢) نرى فى المقدمة هذيانا يشبه هذيان المجانين

او سجع الكهان المنهيين ولا بد ان المؤلفين اراد وا اظهار بلاغتهم ليعارضوا القرآن فى ذلك !! فانظر هذا الهذيان الفاضح : الحمد للرحمن (ذكر الصفة دون الموصوف) رب الاحسان (اضافة الرب الى الاحسان وهو اسم معنى لا تصح اضافة الرب اليه الا اذا كان بمعنى صاحب لا بمعنى اليه واذا كان كذلك فلا تكون صفة ممتازة يمجد بها الله جل ذكره منبر الاذهان بالاعلان (اعوذ بالله من هذا الهذيان الذى لا يفهمه انس ولا جان) الى ان يقول حمداً من صميم الجنان وينزلف الى عرش الرضوان (لم يعرفوا اصول العربية حتى عطفوا بنزلف على من صميم وهب انهم لم يعلموا شيئاً من قواعد الفصل والوصل التى تلحق هذا الكلام الساقط بالهذيان فما الذى سوغ لهم اضافة العرش الى الرضوان وهذا ما ينكره حتى العوام السذج . لا عجب من ذلك وانما العجب ان يتصدى مثل هؤلاء القاصرين عن تحرير سطر واحد الى الطعن على القرآن الذى حير الفصحاء والبلغاء والادباء والحكماء فردوا عديده . لكنها الوقاحة والصلف الذى يخرج الانسان عن جبلته البشرية ويسوقه الى هذا الضلال

البعيد ولست بمنتقد بعد الحان هذه الرسالة واغلاطها النحوية والصرفية وتراكيبها التي فان ذلك واضح من نظر اليها على انه يوجب التطويل بلا احدى اذا تصحح فيها قليل وحسبك ما ترفانه اصح وابلغ مما في جاء فيها .

(٣) قولهم . ان المسلمين اجبروا - كذا - غيرهم على اعتناق دينهم وانهم صبغوا ايديهم الارض بالدماء وانزلوا بالارض جهد البلاء مع انه لم يجز لهم كتابهم ان يبغضوا انسانا بل اوجب عليهم ان يحبوا الناس حتى الاعداء وسعوا في الخير لكل بشر بل ان يؤثروا غيرهم على انفسهم ثم قالوا : ان الاسلام حرم على المسلم محبته غير المسلم بناء على حديث يحشر المرء مع من احب وامثاله انتهى قولهم .

ولقد نظرت في هذا القول الساقط المتناقض فاخذني الدهشة والعجب ان يبلغ التعصب والحقد بالقسيسين مبلغا يسوقهم الى الكذب الصريح والافتراء الثنائي والتناقض في الكلام مما لا يصدر الا من مجنون حرم قوة التفكير وصارت احكامه تبعا لخاطراته السيالة التي لا يقر لها قرار

يقولون ان المسلمين جبروا غيرهم على اعتناق دينهم وهذا محض اختلاق لا يجرأ عليه من سبر التاريخ الاسلامي من اول بزوغ شمس الاسلام الى اليوم . فان مبلغ الديانة الاسلامية اعتمد في نشر الدعوة على الحجج والبراهين ولذلك اخذ يطوف بين القبائل مدة اقامته بمكة يقرء عليهم القرآن ويقيم لهم البرهان ويدعوهم الى السعادة الدينية والاخروية ويوضح لهم الاحكام الاجتماعية التي يتوقف عليها نظام المعاش والمعاد .

دام على ذلك برهة من الزمن ولم يستعمل السلاح الا دفاعا عن نفسه وعمن آمن معه ومقدمة لبث الدعوة التي قابلها المشركون بالسلاح وحرصا على تبليغ القوانين الاجتماعية التي ينشر بدونها الفساد وتختل امور العباد وهملك الحرث والنسل .

فاستعمال السلاح انما كان بداعي حب البشر واسعادهم وارتكابا لاهون الضررين فهو كعملية جراحية يجب اجراؤها حرصا على سلامة المريض وغايته اذ كان التوغل والانهماك في الفساد بلغ من امم الجاهلية مبلغا يستحيل وقعه بدون استعمال السلاح .

الاترى ان اول حرب وقعت بين المسلمين والمشركين هى
واقعة بدر الكبرى ولم تقع الا بعد ان دعى النبى الناس الى
السعادة سنين طوالا فى مكة وتحمل من اذاهم مالم يتحمله نبى قبله
وحبس هو واهل بيته فى الشعب اربع سنوات بعانون ضروب
الاذى وانواع العذاب حتى اضطر المؤمنون ان يتركوا بلادهم
الى بلاد الحبشة ونفى هو صلى الله عليه وآله بعانى من المشركين
انواع المظالم والاذى حتى اضطر الى ترك مكة الى المدينة
واستولى اهل مكة على املاك المسلمين وبيوتهم واموالهم و
منعوا الناس عن استماع البراهين من النبى والاصغاء الى
دعوته .

فهنالك حدثت واقعة بدر لياخذ المسلمون من اموال
قريش ما يستدون به حاجتهم قصاصا عما اخذته قريش من اموال
المسلمين واملاكهم فى مكة ولتكون فاتحة الخصامات بين
الفريقين تنشر بسببها الدعوة الى الهدى والرشاد .

فلم تكن تلك الحرب الا دفاعا مبرورا وقصاصا حقا ولو
كانت بداعى نشر الدعوة لاخبر لكانت حربا مقدسة من باب
ارتكاب اهون الضررين . فهل هذا اجبر على الدين كلا!

وانما هو ايصال للدعوة واسماع للبرهان حيث امتنع المشركون من الاصغاء له ، ولذلك كان النبي يكتفي بالجزية حيث يمكن معها التبليغ ، بل كان يكتفي بالتبليغ وحده كما حدث في صلح الحديبية . فاين الجبر على الدين ، وحسبك ما جاء في القرآن المبين : لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي .

هذه سيرة النبي صلى الله عليه واله وعليها جرت سيرة أئمة المسلمين الى هذا العصر ويتضح ذلك من مشاهدة الخطب الواردة عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب واولاده في امور الدين ومن المباحثات الكلامية والحكمية التي اشتغل بها المسلمون فرقا الى هذا العصر حتى الفوا في ذلك المؤلفات الضخمة التي تفوق حد الحصر . ولقد ملئت مناظرات المسلمين مع غيرهم في مسائل الدين الطوامير والف المؤلفون كتبا خاصة في المناظرات الدينية والاحتجاجات المذهبية ، ولقد فسح المسلمون في المجال للملاحدة والزنادقة ومكنوهم من حرية القول والفكر وعاملوهم بدماثة الاخلاق واللين الى ان يسمعوا شبههم فيردوها بأوضح بيان ولكم اغلظ الزنادقة والمجون لائمة

المسلمين فى القول فلم يزدهم ذلك الا بغيا وعلوا على اقوالهم وتوضيحا للرد شبههم ولم يسبق المسلمين الى ذلك غيرهم من الامم وان عاشوا الحرية لينهج حين ما نهجوه فى اصول الكافى ان ابن المقفع وضع هذا امام المسلمين وسبقهم الصادق فى البيت الحرام فى موسم الحج والمسلمون يطوفون حول البيت فهزء بمقدساتهم وسبهم وقبح اعمالهم ونحى باللوم والشتم على النبى (و العياذ بالله) والفى شبهه الباطلة فلم يكن من امام المسلمين الا الاصغاء الى جميع اقواله والرد بجميع شبهاته بلين القول وعذب البيان ، ولو ان احد رؤساء المسيحيين سمع فى الديانة المسيحية بعض ما سمع الصادق من ابن المقفع فى الديانة الاسلامية وكان له ذلك السلطان والنفوذ الذى كان للصادق عليه السلام لما تردد فى تقطيع اوصاله اربا اربا ، ولكن الديانة الاسلامية التى تبنيت على حرية القول والفكر ابت لامام المسلمين الا مجاملة المزندق والاصغاء له وقد شبهاته حرصا على هدايته .

واتك لترى فى مناظرات المتقين والمدهرين والزنادقة لائمة المسلمين ما يجعلك معتقدا بان المسلمين لم يجربوا احد اسلحتهم كان ضعيفا على الديانة الاسلامية وانهم انما استندوا فى دعوتهم على الحجة والبرهان الا اذا عاد المشاغبون واعداء الحق بالسيف بعد عجزهم عن اقامة الحجة

امام المسلمين فيضطر المسلمون الى دعم حجتهم بالسيف والعادة المهاجمين اسماعا
لا يسمع دعوتهم وحجتهم ولذلك نرى احكام الجهاد منصوصة على
حرب الكفار دون غيرهم ولم يكن حد الحرب مع الكفار ان يسلموا
بل هم مخيرون بين الاسلام او اداء الجزية حيث يمكن معها المناظرة
والتبليغ .

هذا كان شان المسلمين فى تبليغهم نفسه بما حملته الكنيسة
ومجامع الحروب والمستبسين فى الشرق والغرب من منع الناس عن
التعلم وحجرهم على النصرانية وخنق الافكار والاراء والحيلولة
بين القضاري وبين فلاسفة المسلمين وحظر تحصيل العلوم من
مدارس الاندلس الاسلامية واذاقة طلاب تلك المدارس
من القضاري انواع العذاب بحكم جملة المستبسين

تلك سيرة المسلمين فى دعوتهم وهذه طريقة القضاري فى
دياناتهم ، ومع ذلك يأتى بعض الجهال فى هذا العصر فيدعون
ان المسلمين جبروا غيرهم على دياناتهم ، فما ابعد هذه الدعوى
عن الحقيقة وما اقربها للتعصب الاعمى والضلال .

واضل من ذلك دعوى ان المسلمين صبغوا ادمم الارض فى
الدماء ولا ادرى ما المراد من هذه الجملة ولعله الطعن على المسلمين

وتقربه النصارى وقد علمت ان المسلمين لم يجبروا احدًا على الدين
فضلًا عن ان يسفكوا الدم لذلك دماء الا اذا عارضهم معارض مع آبائه
عن استماع الحجة فلا سبيل حينئذٍ الا الى السيف . اما النصارى
فان دعوى القسيسين وجامع الكنيسة والجزويت لم تكن قائمة
الا على القتل والحرق بالنار وتقطيع اوصال كل من لم يدن بدينهم
او يقبل بقولهم من دون اقامة حجة او وضوح الى دليل ولكم اجرت
تلك المجامع الظالمة الشومة في المناز عات الدينية من الفضايع
والاعمال الشنيعة ما تقشعر له الابدان ويخجل منه وجه الانسان
ان يكون في ابنائها امثال اولئك الذين ملاؤا الارض ظلمًا وجورًا
وانينًا وصياحًا وضجيجًا وحسبك كل ذلك باسم النصرانية والكنيسة
وما اصلف وجه القسيسين غابرًا وحديثًا . جاءوا
بعد ان تكاب تلك الفضايع باسم الدين يدعون ان المسلمين صبغوا
ايديهم الارض بالدماء . ولم تثبتهم كتب التاريخ التي بجعلت لهم
مخازي لا تمحى على كر الدهور

ولا غرو فان مصدر تلك الشرور وكلها هو الانجيل المحرف
الذي يقدسه النصارى اليوم مع انهم يعتقدون ان الانجيل
ارتفع من الارض بعد قتل المسيح عليه السلام ، لان الانجيل

اليوم يصرح بانه انما جاء ليلقي في الارض سلاحا لا سلاما
وان الرحم لا تدعوا الى العطف والحنان ويوجب على الرجل ان
يعادي ابويه اذا لم يتفقا معه في الدين .

فاين هذا من تعاليم القرآن الذي يقول : وَجَادِلْهُمْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) فاصدع بما تؤمر وما لهم به من علم . إِنْ
يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ، وَاشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ، وَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ
وَلَا تَنْهَرْهُمَا ، الى غير ذلك من الايات التي تدعوا الى المحبة و
الوداد والتضامن والتعاون وتفضيل العلم وحظر القول بالظن
والخرص . افيصح ان يدعى مع ذلك ان الاسلام يجبر الناس
على التدين به .

ومن غريب ما جاء في هذه الجملة وكلها غريب دعوى
الملفقين لها : ان الاسلام حرم على المسلم محبة غير المسلم
مع انهم ذكروا قبل ذلك بسبعة ان القرآن لم يجز للمسلمين
ان يبغضوا انسانا بل اوجب عليهم محبة كل بشر الخ .
فما ادري كيف التوفيق بين هاتين الجملتين المتناقضتين وما
الذي اعمى هؤلاء الدجالين حتى صاروا يبطلون كلامهم بكلامهم
وليس بين الجملتين اكثر من خمسة سطور وان التعصب ليردي

صاحبه حتى يوقعه فى هذه المهاوى ، وان الاسلام لاعلى كبنا واوضح وجها من ان تشوهه هذه الفريات ، وهل تركت ايات القران الكريم مجالا للشك فى ان القران انما جاء لخير البشر عامه وسعادتهم وحثهم على التحاب والتضامن والتوادّ حتى جعل بين الغرباء اقوى رابطة تسببه داعيه الى شدّ الالفة وهى الاخوة فقال تعالى : وجعلكم بنعمته اخوانا ولقد آخى النبى بين اصحابه واوصى بالاحسان للمسئ والاصلاح وكره الافساد فى الارض وجعل عقابه اشد العقاب وحسبك ايات القران الكريم فانها ناطقة بالغرض المقصود من الاسلام كقوله تعالى : إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ، الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَرِيمٌ .

الى غير ذلك من الايات التى تبين ان الاصلاح بين العباد ودفع الشرور عنهم ودرء الفساد اتم مقاصد الاسلام ، واذا نظرت الى الاحاديث الاسلامية والتعاليم الدينية تراها مبنية على احكم اسس المدنية مراعاتها من اسباب الحرية الشخصية والنوعية متبعة منهج المحبة والالفة مجانبة

البغض والعداء لجميع البشر ، وانما بالغ الاسلام فى الدعوة اليه حرصاً على خير البشر وسعادتهم

انظر وصيته امير المؤمنين علي عليه السلام فى كتابه الى واليه على مصر مالك الاشتر فانه بعد ما اوصاه بافاضة العدل وحذره من الظلم وامره بالمساواة بين البشر فى القضاء وفى جميع الحقوق قال جالباً لعاطفته نحو المساواة مبرهناً على وجوب اتباعها : ان الناس اما اخ لك فى الدين او شريك لك فى الخلق .

فهل تجد لك فى القوانين المدنية الموضوعة ما يشبه هذا القانون من العدل والمساواة . وان من امثاله المسلمين الشائعة ما جاء فى الحديث الشريف وفى وصيته الحسن السبط عليه السلام واحب لغيرك ما تحبه لنفسك ، فهل فى القوانين الارضية ما يناظر ذلك . افيبقى مع ذلك مجال للقول بان الاسلام حرم محبته غير المسلم ؟

ولو ان هذا القول كان صادراً من محب للبشر لكان له وجه ، ولكنه صدر من متبس اتبع مبدعات مجامع الخرديث وصرف اوقاته فى اقناء الشرور وفى الارض باسم التبليغ توصلاً الى ارضاء المستعمرين المستأثرين الظالمين ، وهو فى وسط حرب طاحنة

اوقد شعلتها النصارى تبعًا لهواهم ! حتى انهم لظاما جميع المعلومين و وردنا رها الفتى و الفقير و الهم و الصغير و لم يسلم من شرها احد دكت الصروح و قلبت البنيان و هدمت القصور و خربت البيوت و اهلكت الحرث و النسل فامن منها امم النصرانية بعضها على بعض و اكل بعضها بعضًا و حطم قوم قومًا اخرين و في مقدمتهم المتبعون دعاة الشر و الفساد .

فكيف يزعمون النصرانية بعد هذه الشرور و الويلات و بماذا يتهمون الاسلام ؟ من صنع الارض بالدماء التصادى امر المسلمون ؟ و لعل النصرانية تسوق النصارى الى حروب اكثر و بلاء على البشر من سالفات الحروب ، و في الله من شرها العالم و اعاذ من طبعها بني آدم . ان هولاء البرابرة لاضر و اضرى من الوحوش الكاسرة ، و اني للوحوش بتلك الجنايات التي اقترفتها تلك الذواب المؤذية ، و هل للوحوش هذا التلف يرتكبون تلك الفضايع الموبقة ثم يأتون غير متحرجين يدعون ان الاسلام الهادي المرشد الرؤف الرحيم صنع البسيطة بدماء البشر ، اعوذ بالله من هذه الوقاحة و هذا التلف .

بقي الكلام في حديث بحشل المروءة مع من احب ، و هذا

الحديث ليس المراد منه تحريم مجتة غير المسلم بل معناه حظر الاعتقاد
والتدين بغير اعتقاد الاسلام ودينه اذ المجتة هنا ليس معناها
الالفة والاحسان بل الموافقة في الاعتقاد. ولذلك فليس بين
هذا الحديث والايات والاحاديث التي تحظ على الاحسان والبر
لكافة المخلوقين تنافٍ .

(٣) ذكروا في وصف كتاب العهدين التوراة والانجيل ان
القرآن زان جيده ببعض دروه وعظم ببعض مناهيه (ما افصح
هذه اللفظة المهملة) واوعره . ثم قالوا: وخلاصته واجبات
الدين التي حبب الله وحبب العباد وترفيه الناس والبلاد .

هذه دعوى ان ادعاها هؤلاء الدجالون فاما او لاهما
فلا يجب ان تقابل الا بالضحك والاستهزاء والا فاتهامها بالسقوط
بحيث لا تستحق النظر والرد .

تطالع الانجيل فلا ترى فيه امرا اجتماعيا او خلقيا ولا
نهيا لصالح البشر بل مجموع ما فيه اقاصيص وخرافات عن حياة
المسيح وبعض اصحابه ثم تنظر عقائده في المبدء الاعلى واصل
الخليقة والتكوين فلا ترى الا خرافات يمجها الطبع وينفر منها
العقل الصحيح . فنزه بثلث الله واخرى بوحدة ومرة بجعله

ولدًا واخرى تسمّى الولد اله والاله ابًا وهو ينزله من السّماء الى الارض ثمّ يسفيه الخمر ويسبب له الزنا والفجور والخوف وغير ذلك :

امّا عن اصل الخليقة فليس فيه شئ نعم فى اوّل النّواة كلمة مجملة لا معنى لها وهى قولها فى البدء كانت الكلمة . لا بدّ وحتى القضاء ما معنى الكلمة وما المواد منها هذا كتاب العهدين .

وشرّف نظرك فى القران فلا ترى مصلحًا اجتماعيّة او خليقيّة الا تجد امرًا بها فيه ولا مفسدة كذلك الا تجد فيه عنها نهيًا ولا جزاء الا تجد فيه عليه حضًا وعن الشر تجد بعضًا وزجرًا وما من حكمة الا تجدها فى القران مثلًا ونقضه . واذا طلبت اصل الخليقة وحكمتها تجدهما مشروحين فى القران مبيّنين باوضح بيان .

كيف صارت المادّة الاصليّة دخانًا ودقائق وتكوّنت منه السّماء والارض بحكمة اظهار سلطان المبدء الاعلى وقدرته ثمّ تجد القران عبارة عن تمجيد المبدء الاعلى وتنزيهه عن النقائص وانّه الكمال المحض المبرّء عن الشريك والولد واحد من جميع حيثيّاته لا حيث له ولا ابن قائم على كلّ شئ مدبّر لكلّ شئ

تلك خزانة كتاب العهدين وهذه معارف القران

ما انت قائل لظالم يدعي ان القرآن ذات جميعه (والعياذ بالله) بيد ويكتاب بالعهدين ؟ هل لك الآن تضحك هازئا وتبسم ساخرا عن هذا بانه سائلا له الهداية والنجاة من هذا الضلال ؟

واما ثانيته الدعويين فليس منشأها الا الجهل بحقيقة الدين والبعد عن التهذيب النفساني وهل ابقى حب الاستعلاء وطمع التغلب والاستئثار وغلبة الشهوات النفسانية بصيرة في قلوب هؤلاء الظالمين يدرك بها الحق .

فلنوضح مجملا حقيقة الدين لينكشف مبلغ بعد هؤلاء الضالين عن الصراط القويم .

الدين هو الانسانية ، وذلك ان الانسان خلق غافلا مختارا ، فما يهذب العقل والاختيار فهو الدين ، اما العقل فيهذبه منحصرا الفكرة في المبدء الاعلى واصل الخليقة ومصيرها ومنتهاها ، واما الاختيار فيهذبه بتقييد القوى الغريزية الموجودة بالطبع في الانسان بأوامر ونواهي يترتب عليها ثواب وعقاب ليصلح شأن الانسان وينتظم امور معاشه ومعاملاته مع ابناء جنسه فيكون نصيبه بسبب ذلك السعادة والسلام .

فالدين عبارة عن احكام المبدء والمعاد وقوانين العبادات

والمعاملات والسياسات والجزاء .

والشريعة الاسلامية تدعوك كل ذلك على الوجه الاكمل ، اما النصرانية فليست هي الا فوضى في امور الاجتماعية اذ لا اوامر فيها نافعة للبشر ولا نواهي ، وما هي الا سوق للانسان الى الجنون حيث تحكم عليه بالاعتقاد بالتثليث والتوحيد معاً في المبدء مع حفظ كلا العنوانين له في ان واحد وحصر الوجود كله الشامل لما لا يحصى من العوالم والاكوان ناوه في بطن امرئة ضعيفة واخرى في بدن انسان عاجز هو الاب الاله والابن المالوه فالابن الاله والانسان المالوه خالق ومخلوق ورازق ومرزوق حي ومقتول في القبر وفي التمأ ضعيف فوحالي غير ذلك تناقضات واحالات لا يقدم عليها الا مجنون معتوه قد سلب عقله .

واما مبدء الخليقة ومعادها وحكمة ايجادها فنبينها من كتاب العهدين الاهمال .

فالنصرانية المبتنية على الخرافات والفوضى عدوة الانسانية لتوجدها الا لاهلاكها وما هي من الدين في شيء .

واما حب الله في عباده سائقه منشأها الاخلاص ولقبه

القوام الاعظم للدين حب الله عن جهل بتثليثه ونسبته العجز والنقص اليه ، بل قوام الدين تنزيه الله عن كل ما سواه و الفكرة في عظمته وقدرته وتمجيده بصفات الكمال ونفي صفات النقص عنه وهذه هي الفلسفة العليا التي تهذب مدركات الانسان .

واما حب العباد وترفيه الناس والبلاد فليست هي القوام الثاني للدين بل القوام الثاني هو الاحكام الالهية التي ترشد الانسان الى صالح الأعمال ومعالي الاخلاق ولها نتايج عظيمة يجمعها سعادة البشر ومن جملة نتايجها حب العباد وترفيه الناس والبلاد .

وهب ان الدين ما ذكروا فاين الضرائبة منه وليس فيها حكم واحد يصلح لترقي الانسان والبلاد بل احكامها مما عاد الى خراجها ، وهبا نبة وعوله وتقليل للتسل بالاقتصار على زوجة واحدة والمنع من الطلاق واعدام حياة كلا الزوجين بتقييد احدهما بالاخر بحيث لا سبيل الى الفراق واهلاك للانسان بباحة المحرم ، افهذا يكون في العباد واعمار البلاد ؟

ولا غرو فی شدة جهل هؤلاء الدجالين فی امور الدين
فان مصدر دينهم كتاب العهد الذی لا يوجد فيه شئ
من الحقيقة ولا حكم مفيد .

نقد الفصل الأول

وهو في عدة موارد

(١) يدعي هؤلاء المفترون ان كثيرا من علماء المسلمين قالوا باعجاز القرآن بناء على قول القرآن فأتوا بسورة من مثله الخ ، وهذا افتراء محض فاق فاطبة المسلمين قائلون باعجاز القرآن لا كثيرا من علمائهم وانما اختلف العلماء في وجه الاعجاز وليس مستندهم قول القرآن كما زعم هؤلاء الافاكون ولكن مستندهم هو اعتراف جميع العرب بالعجز عن الاتيان بمثله والخضوع امام بلاغته حتى صار سببا لهدايتهم وارشادهم للديانة الاسلامية كما سنأتي الاشارة الى ذلك .

(٢) قالوا في الدليل الاول ان القرآن لم يدع انه معجز بالبلاغة الخ ، وقد اردوا بذلك ابطال دعوى الاعجاز حيث زعموا ان مستند المسلمين هو دعوى القرآن فاذا ثبت عدم دعوى القرآن بطل مستند المسلمين هذا ما اراده وان نصرف عبادنهم ونحن نعجب اشد العجب من وقاحة هؤلاء السفهاء يفترون على المسلمين ثم يردون ما

افتروه مظهرين ان ذلك ردٌ على المسلمين ، وقد انبأ ان
ان القرآن معجز بنفسه لاعتراف العرب وعجزهم عن معارضته
كما سيأتي سواء ادعى هو او لم يدّع . على ان القرآن ذكر
انه معجز بالبلاغة لقوله : لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ أَنْ
يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وقولهم ان وجه
المماثلة لم يتبين في هذه الآية وامثالها ، فلم يعلم انه البلاغة
دليل على عدم خبرة هؤلاء القائلين باساليب الكلام العربي
فان هذه الآية وامثالها صريحة في ان وجه المماثلة هو البلاغة
لان القرآن انما يتحدى العرب ببلاغته في زمان فشى فيه
التفاخر بالكلام البليغ وكثرت المناظرات بين البلغاء فجاءهم
معجزا لهم عن الاتيان بمثله بلاغة ونظما حتى اذعنوا له وخضعوا
لبرهانه وانزلوا ما كانوا علقوه على الكعبة من الكلام البليغ
واحجم البلغاء عن التفاخر بالكلام البليغ بعد ذلك كما سيأتي .
فبهذا يظهر ان الآية صريحة في ان المراد بمثله مثله بلاغة
ونظما لكن من لا يعرف اساليب الكلام العربي لا يلام اذا
اخطأ في فهم ذلك وانما يلام حيث يجعل نفسه حكما فيما
يجهله والجهل آفة الانسان .

(٣) قولهم سئلت علمائهم يعني علماء المسلمين) عن وجه المماثلة فقال بعضهم البلاغة وقال بعضهم غيرها الخ ، هب ان وجه المماثلة ليس البلاغة فاى رد فى ذلك على المسلمين بعد ان كان القرآن معجزا للبشر فيكون دليلا على انه ليس من كلامهم سواء كان اعجازه بالبلاغة او غيرها . على ان دعوى السؤال من علماء المسلمين فى عهد من بعدهم لا تسلم ولو سلم نمنع ان لهم استطاع الكلام فى امر الدين مع احد عوام المسلمين فضلا عن علمائهم وهل يقدر على الكلام من يعترض فى حجة به صلب الوثنية ويعقد لسانه التثليث فى عين التوحيد والتوحيد فى عين التثليث . ولكنهم يدعون انهم تكلموا مع علماء المسلمين ليتبينوا انهم فى مثابة عالية يدانون بها رفعة علماء المسلمين فى المسائل الدينية شأن من يحكك بالعظماء ليكون عظيما .

(٤) قولهم ويؤيد ذلك اختلاف علمائهم وبلغائهم فى ذلك الوجه اى وجه المماثلة الخ) المسلمون كلهم متفقون على ان القرآن معجز والاعجاز مهما كان سببه دليل على ان الآتى به صادق فلا يقدح اختلاف علماء المسلمين فى وجه الاعجاز وسببه فى الدلالة على صدق من جرى

على بديه المخرج الا ان المتسببين اعتادوا الافتراء على علماء المسلمين وتشطير عبارتهم فيذكرون شطرا منها ويتركون شطرا ليجعلوا ذلك ردا عليهم ويتضح ذلك من مراجعة النصوص الموجودة فى هذا الدليل وهى .

اولا نقلهم عن الباقلانى فى اعجاز القرآن قوله : ان فريقا ذهب ان الكل قادرون على الاتيان بمثله الى هنا ذكروا من عبارة الباقلانى وبظاهرها تدل على ان بعض المسلمين قائلون بعدم اعجاز القرآن وليس كذلك فان الباقلانى بعد ان ذكر قول بعض المسلمين ان القرآن ليس بمعجز فى نفسه وانما صرف الله البشر عن معارضته فالاعجاز بالصرف لا بنفس الكلام ولولا الصرف لكان البشر قادرين على الاتيان بمثله وننظر فى هذا القول - قال : وليس هذا بأعجب مما ذهب اليه فريق منهم ان الكل قادرون على الاتيان بمثله وانما يتأخرون منه لعدم العلم بوجه ترتيب لو علموه لوصلوا اليه . انتهى بلفظه . ومراده ان القول بالصرف ليس بأعجب مما ذهب اليه فريق منهم اى من القائلين بالصرف ان الكل قادرون على الاتيان بمثله وانما عجزوا لانهم صرفوا عن اسرار كان فى القدرة والاستطاعة

نعلمه لكن الله صرفهم عنه فعجزوا عن مباراة القرآن فالاعجاز فيه موجود على كل حال . ولكن المشبهين اسقطوا ذيل العبارة بلا حياء ولا تحرج تمويهاً على البسطاء (راجع اعجاز القرآن في هامش الانسان صحيفة ٤٤ و ٤٧ لتعرف مبلغ تمويه المشبهين)

وثانياً نقلهم عن الباقلاني في هذا الدليل قوله وانه قال فريق منهم لا فرق بين كلام البشر وكلام الله تعالى . فيفهم من ذكر هذه العبارة في هذا المقام ان فريقاً من المسلمين قائلون بعدم الفرق بين كلام البشر وكلام الله تعالى من حيث الاعجاز وان المراد من كلام الله هو القرآن وليس كذلك فما من احد من المسلمين يذكر عنه هذا القول واما عبارة الباقلاني المنقولة هنا .

فقد ارتكب هؤلاء الاحلاف من التحريف والتمويه فيها ما لا يعذر عليه انسان واليك عبارة الباقلاني في بعضها لتقف على صلف هؤلاء الأجلاف . قال الباقلاني بعد العبارة المنقدة: وكلا بل عجب من قول فريق منهم — اي من القائلين بالصرف — انه لا فرق بين كلام البشر وكلام الله تعالى في هذا الباب — اي باب الاعجاز — وانه يصح من كل واحد منهما الاعجاز على

حدّ واحد انتهى . ومرادهم ان الاعجاز يتصوّر على احد وجهين
الاوّل ان يكون الكلام لله تعالى ويعجز البشر عن الاتيان بمثله
الثانى ان يكون الكلام لاحد المخلوقين الا ان الله يعجز من سواه
ويصرفه عن الاتيان بمثله ولا فرق بين كلام البشر وكلام الله
من هذه الجهة فان كلاهما معجز خارق للعادة .
وحاصل هذا القول ان كون الكلام معجزًا لا يستلزم ان يكون
الكلام لله بل يجوز ان يكون الكلام لواحد من البشر وهو معجز
بان يصرف الله عنه عن سبا رانه .

هذه عبارة الباقلانى وهذا المراد منها ولست ادرى
ما الذى حمل هؤلاء المحرفين على تقطيعها والتمويه بها وكيف
سوّغت لهم مفكرتهم ذلك هل ظنّوا ان عبارة الباقلانى لا
يراها غيرهم او انهم لا يخافون الفضيحة بكشف تمويههم . بلى انه
الحرص على الباطل يسوق صاحبه الى اردى المهاوى المهلكة
وثالثًا نقلهم عن ابرهيم بن سيّار النظام هذه العبارة :
ان العرب كانوا قادرين على الاتيان بسورة من مثله بلاغة
وفصاحة ونظمًا . واسندوا هذه العبارة الى كتاب الملل و
النحل للشهرستانى وليبان توغل هؤلاء الكذابين فى الكذب

والافراء ننقل نص عبارة الملل والنحل نقلاً عن صحيفة ٧٢ من الجزء الاول من كتاب الملل والنحل المطبوع فى مصر بهامش الفصل فى الملل والاهواء والنحل لابن حزم . قال فى تعداد المسائل التى تفرد بالذهاب اليها النظام مانصه : التاسعة قوله فى اعجاز القرآن انه من حيث الاخبار عن الامور الماضية والانباء ومن جهة صرف الدواعى عن المعارضة ومنع العرب عن الاهتمام به جبرا وتعجيزا حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على ان يأتوا بسورة من مثله فصاحة وبلاغة ونظما انتهى نصه و انت ترى ان النظام ذكر وجوها لاعجاز القرآن وهؤلاء المفترون اختلفوا عباراته ونسبوها اليه وادعوا انه منكر لاعجاز القرآن بالبلاغة مع انه يصرح بالاعجاز فى البلاغة بسبب صرف الله البشر عن الاتيان بمثله فما اجرء هؤلاء القوم على الكذب ابعدهم الله .

ورابعها نقلهم عن المرداد هذه العبارة : ان الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة وبلاغة ونظما ونسبوا ذلك الى كتاب الملل والنحل للشهرستانى وادعوا ان المرداد منكر لاعجاز القرآن مع ان الموجود فى صحيفة ٨٨ من الجزء

الاول من الكتاب المذكور لا يدل على ان المزدار منكر لاعجاز
القرآن بل ان الشهرستاني نقل عنه هذه العبارة وغرضه
الطعن عليه لانه قائل بخلق القرآن ولا يعلم من حال المزدار
انه منكر لاعجاز القرآن بل الظاهر انه قائل بالصرف وعبارته
تشبه عبارة القائلين به ويحتمل ان يكون عقيب هذه العبارة
ولكن الله صرفهم عن ذلك ولكن الشهرستاني لم ينقلها . وهب
ان المزدار قائل بعدم الاعجاز افينفيه ذلك وافعا ؟ وهل ينفي
معجزات عيسى انكار اليهود والوثنيين لها . ونحن لا حاجة لنا
في الوقوف على الاعجاز الى نقل اقوال المثبتين له او النافين
وانما ذكرنا ذلك تنبيها على مبلغ صلف هؤلاء القوم الذين
يعمدون الى الكذب والتمويه وسخط الرب وضياع الاخلاق
في تأييد دينهم والوصول الى غيهم والا فنحن في غنى عن ذكر كلام
كل احد مسلما كان او نصرانيا انا عرضنا النظر الى الحق من حيث
هو غير مبالين بما قيل او يقال وهكذا يجب ان يكون طالب الحق
وسنذكر مسئلة اعجاز القرآن بنفسها فيما سيجئ مجردة عن قول
كل قائل .

(٥) قولهم والمرجح عندنا ان القرآن لم يبلغ عجز

البشر والناس عن مثله الاعلى سبيل المبالغة . وهذا من
المضحكات فان النبي صلى الله عليه وآله تحدى العرب سنين
ودعاهم الى نصد بهته جاعلا عجز البشر عن الاتيان بمثل القرآن
دليل نبوته ، والعرب اعرف منهم من اعترف به ولجأ كثير من اهل
العناد بعد ان قصروا عن معارضته الى السيف واختاروا
الموت عنادا ولو انهم كانوا يستطيعون معارضته لكان الركون
اليها اسهل من الحرب والقرآن ينادي في كل تلك الوقايع
فانوا بسوره من مثله وهم مجمعون ومع ذلك يدعي هؤلاء البلهاء
ان قوله هذا من باب المبالغة افيصح ان يقال لهؤلاء
المغلوبين انهم ادركوا شيئا من الحق فيها قالوا ، انهم في
ظلمات الباطل يعمهون .

(٤) جعلهم من امثلة المبالغة في القرآن قوله تعالى
سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ
بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ وقوله تعالى يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ
يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ وقوله تعالى يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ
تَمْسَسْهُ نَارٌ وقوله تعالى لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ
لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ . . . وهذا

الكلام من التغوط بمكان يدل على مبلغ هؤلاء البله من الجهل اذ ليس في شيء من الاباث الاربع مبالغة .

اما الاية الاولى فعلى حقيقتها لان الله محيط بكل شيء واسع كل شيء لا يغيب عن علمه شيء سواء المستر للقول والجاهر به والمستخفي بالليل والساتب بالنهار اذ انه تعالى ليس بمنفصل عن كل موجود في كل حال وهو مبدء كل شيء فاعل لكل شيء ، فهل في هذا شيء من المبالغة ؟ او هو عين الحقيقة الراهنة ، لكن من لم يعبد هذه الفلسفة العالية ويعبد ربا ناذه يجعله في بطن مريم العذراء واخرى مبتدأ بالبدن الانساني المادي وقره بين الحبال الثرى وسط اللحد من يعبد ربا هذه صفته يجدر ان يقول ان المستر والجاهر والمستخفي والساتب ليسوا بالنسبة الى هذا الرب سواء واذا قيل له سواء بالنسبة الى الرب قال ان ذلك على سبيل المبالغة ، فليذهب بجهله وغبنه اعاذنا الله منهما .

واما الاية الثانية والثالثة فليس فيهما شيء من المبالغة لان المبالغة هي اظهار ما ليس بواقع مظهر الواقع

او بالعكس لحكمه بقرينه حاليه او مقاليه فهي في المركبات اشبه بالاستفاده في المفردات ولولا شرط القرينه والحكمه في المبالغه لما كان بينها وبين الكذب من فرق وهذا التعريف لا ينطبق على الايتين لان بكاد من افعال المقاربه وهي تفيد قرب اسمها من خبرها فمعنى الايه الاولى قاربت سني برقه الذهاب بالابصار ومفهومه انه لم يذهب ومعنى الايه الثانيه قاربت زيتها الضوء ومفهومه انه لم يضئ فهل في هذا شئ من المبالغه نعم لو قال سني برقه يذهب بالابصار وزيتها يضئ من دون بكاد لكان مبالغه ، ولكن اتى لهؤلاء البلغاء بفهم دقائق الكلام العربي واساليبه .

واما الايه الرابعه فهي بعيده عن المبالغه بعد السما عن الارض فان لو تدل على امتناع الجزاء لامتناع الشرط ففي لو احسنت الي لاكرمتك ان اكرامي ممتنع لامتناع احسانك ولهذا الكلام مفهوم وهو ان الاحسان ليس اقتضاء للاكرام وهذه الايه كذلك فان معناها انك لم تر الجبل خاشعا متصدعا لانا لم ننزل القران عليه وهذا كلام لم يتعد الواقع والحقيقه فاتى مبالغه فيه ومفهومه ان انزال القران

على الجبل تنبيه انقضاء الخشوع وهذا خبر لم يتجاوز الحنفية و
الواقع لان توجه كلام الله تعالى الى الجبل موجب لتصدعه
وخشوعه كما يعترف بذلك النصارى واليهود فى حديث تجلى
جل شأنه لمناجاة موسى فى جبل طور سيناء . هذا مبلغ
جهل هؤلاء الخداعين بنكات الكلام العربى فما حداهم الى
مناوءة القرآن ؟ هلم دعى الى هذا الخبط الا الولع بالاستعلا
والطمع بالاستملاك والحرص على الظلم الذى يعمى ويصم .

(٧) قولهم الثانى ان علماء المسلمين وبلغائهم لم يتنبهوا
الى ذلك لم يتنبهوا الحد بين بلاغة البشر وبلاغة القرآن لينبهنى
لنا من ذلك عجز الانس والجن عن فصاحته وبلاغته ونظمه .
ونحن نقول معارضة اذا كنتم لا تدرون الحد الفاصل بين
بلاغة كلام البشر وكلام الله تعالى كما اعترفتم فما ادراكم ان
القرآن دون كلام الله وكان يجب عليكم التوقف والسكوت
لا الحكم بعدم اعجاز القرآن اذ انتم جاهلون وقولكم بعدم
الاعجاز قول بغير علم يتجنبه العقلاء . والقول الفصل
منا هو ان علماء المسلمين ذكروا حد الاعجاز فى البلاغة
باجلى عبارة واسهبوا فى ذلك اسهابا لا يليق هذا المختصر

فلنقتصر فيه على اقرب الطرق التي يفهمها كل احد وهو ان سند الاعجاز في البلاغة امر ذوقي لا يدرك الا من ذوق ذلك الذوق وهم اهل اللسان العربي فيجب الرجوع اليهم في ذلك ولا سبيل لغيرهم الى الحكم فيه فانه يكون كحكم الاعمى بالالوان والاكمه بالالحان واذا رجعنا الى اهل هذا اللسان نجدهم قد آمنوا بان هذا الكلام ليس من جنس كلام البشر وانهم عاجزون عن الاتيان بمثله وقد تواتر عنهم ذلك كما سيجيء فيجب نصدقهم فيه .

(٨) قولهم في الدليل الثاني : فقولوا لنا ما البلاغة التي لا يستطيع مثلها احد من الخلق في سورة الكوثر وهي هذه (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) اني سئلت كثيرا من اعلم علماء المسلمين وابلغ بلغائهم فلم يجبني احد منهم عليه . لما لم يكن لهؤلاء الاكابر من دليل ولا برهان لجاؤا الى الدعاوي الفارغة والانكار المجرد ، والا فما معنى هذا الكلام الساقط الذي لا نضده بينة ولا برهان ، فلو قلنا معارضته لم : فقولوا لنا ما هو الدليل على نبوة موسى وعيسى اني سئلت اعلم علماء النصارى عن ذلك فلم يجبني عنه لو قلنا ذلك معارضته اكان يكفي

ذلك لابطال النصرانية ، ومع ذلك فانا نجيبهم عن كلامهم
بالحل بما اوضحناه انفا من ان مرجع تمييز الكلام البليغ من غيره وبيان
درجته البلاغة الى اهل اللسان فحسب وقد رايناهم خضوعهم
امام هذه السورة وامثالها واعترافهم بالعجز عن مباراتها
بالتواتر فيجب التسليم لاذواقهم وآرائهم ، على انا نستطيع
ان نبرز شيئا من بلاغة هذه السورة بما وصل الينا من
قواعد اللغة العربية ، وليس غرضنا من ذلك الاستدلال
على الاعجاز فان مرجعنا في ذلك حكم العرب الاوائل لا غير
ولكن لنوضح بالبحث عن بلاغة هذه السورة مقدار بعد هؤلاء
الاغبياء عن فهم الكلام العربي وشدة غباوتهم فنقول :
ان هذه السورة الشريفة من اقصر سور القرآن الكريم وقد
اشتملت مع قصر جملها على نكات عجيبة ومعان بديعة يحار
لديها الفكر ويعجب بها العقل السليم ، اشتملت على بشارتين
وامرين وتضمنت فلسفة عالية واوضحت حكما سامية .
فان الله سبحانه اخبر انه هو المعطي للكوثر دون غيره والاعطاء
لنبيه تعظيما لشأنه صلى الله عليه وآله حيث جعله اهلا
بان يخص بهذه المنة الكبرى واكد ذلك بان لما كان في

مقام الانكار حيث عظمت النعمة في اذهان السامعين من قريش فكان لانكارها مجال واسع ولما فرغ من ذكر النعمة فرع عليها الامر بالصلوة والنحر دلالة على ان الطاعة هذين الامرين واجبة من باب شكر المنعم وجعل الصلوة خاصة به بيانا لانها عبادة لا تليق بغير الرب جل شأنه فان فائدتها لا تحصل اذا لم تكن للرب ، واطلق النحر في الظاهر اشعارا بانه في المرتبة الثانية من العبادات وانه اذا لم يكن لله فلا يخلو من فائدة وان كانت فائدته العبادية لا تحصل لكان عطفه على فصل لربك فيكون معناه وانحر لربك

وبعد ان ذكر المقتضي للعبادة وانه موجود وهو اعطاء الكوثر وذكر نوع العبادة وهو الصلوة والنحر اخبر على سبيل التاكيد بان المانع عنها مفقود وهو وصف قريش للنبي صلى الله عليه واله بصفات الذم حط الدرجة واعانة له عن تبليغ دعواه لان الذي شنئه وهو العاص بن وائل بقوله ابتراى لا ولد له انما اراد حط منزلته صلى الله عليه عن درجة النبوة فجعله اى العاص ابتر انتقاما منه تعظيم للنبي ص واعلا لمنزلته واتما اكد هذه الجملة بان والجملة

الامة بتبليغها والنصيحة على ان هذا الامر واقع لا محالة فلم يبق مانع عن التبليغ وفي هذا التاكيد من الحض والبعث على التبليغ بتبهيل اسبابه ووسائله مهما كانت خطيرة ما لا يخفى على الفطن الذكي . وفي هذه الجملة اخبار بالغيب لم يتخلف فان العاص عاش بعد ذلك ولم يخلف ولدا ولولا ان النبي لم ينطق الا بالوحي عن الله لارتد في مثل هذا الخبر خوفا لفضيحة بظهور خلافه فجزمه وعدم تردده دليل على اعتماده على الوحي . هذا مجمل ما يحولنا الاختصار ذكره في هذا المقام . ولقد ذكر المفسرون لها من الاسرار والحكم والبدايع ما يحير الالباب وافرد قطب الدين الراوندي مجلدا ضخما لهذه السورة المباركة ذكر فيه من اللكات البديعة والحكم البيانية ومزايا البلاغة التي في هذه السورة ما يوقن كل مطالع ان البشر عاجزون عن الاتيان بمثله او التبتة له الا بعد رؤيته . ومع كل هذا يجسر هؤلاء الزنادقة فيقولون هذه العبارة : اني سئلت كثيرا من اعلم علماء المسلمين وابلغ بلغائهم هذا السؤال فلم يجبني احد . لم يكفهم انهم حرموا لذة فهم هذه الدقائق حتى حرموا فضيلة الصدق وشانهم رذيلة الكذب الشنيع

فأنّى تؤفكون .

(٩) فلم في الدليل الثالث ان كثيرين من العرب في زمان حضرة نبي المسلمين ضحكوا بالعنوان ولم يروه كما ادعى وقالوا ان صاحبه شاعر مجنون وانتهم قادرون على الاتيان بمثله وما ذلك الا لانهم لم يقفوا على ما يثبت مدعاه الخ . هذا ما ذكره وما عسى ان يقول الناظر في هذا الهذيان اهكذا تكون الادلة ؟ وعلى مثل هذا الاساس الواهي تبنى صروح العلم المحكمة ؟ ايجعل جحود المعاندين وانكار المجازفين دليلا على بطلان الحق وثبوت الباطل ، هكذا فليكن تطلب الحق !!! هيا نتبع هذا الهذيان ونجعلنا جحود كل حكم دليلا على بطلانه فاي حكم نستطيع نضد به ؟ وقد قيل لا يعدم راى ناصرا ، نريد ان نتبع سبيل هؤلاء المضلين الجاهلين في ضلالهم ونقلب لهم ظهر المجن فنقول المعارضة من كل احد دليل على بطلان ما هو معارض ونقوم على ذلك بطلان نبوة موسى وعيسى وجميع الانبياء لان موسى عارضه فرعون والاقباط واراد قتله وقالوا انه كبيرهم الذي علمهم السحر وما ذلك الا لانهم لم يجدوا عندما يثبت

مدعاه ولو اتهم وجدوا ما جاء به معجزة لامنوا . واما عيسى فقد كذبه كل اهل عصره الا القليل ولو تتبعه من اهل عصره معجزا من اتبع محمدا من اهل عصره واصر اليهود على تكذيب عيسى حتى قتلوه وما ذلك الا لانهم لم يجدوا عنده ما يثبت مدعاه ولو وجدوا عنده معجزة لصدقوه وامنوا به ، ماذا يقولون لنا لو عارضناهم بذلك ، والدليل القاطع الذى ذكرته وارد عليهم طابق النعل بالنعل تاف لدينا نهم هادم لاساسها ، فما لهؤلاء القوم ينقضون قواعد ما بنوه من حيث لا يشعرون ؟ اليس هذا هو الضلال البعيد ؟ لكن الله قد هدينا وانقذنا من الضلال فعلمنا ان انكار الملحدين وجحود المضلين لا يكون دليلا على صدقهم وكذب الصادع بالحق وان خالفه اهل العالم ، وان الواجب على من طلب الحق ان ينظر الى الحق نفسه ببرهانه ودليله غير مبال بجحود الجاحد وانكار المعاند ، فموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام انبياء صدق من الله بدليل ما جاؤا به من المعجزات وان خالف الاول الاسباط والثانى اليهود حتى قتلوه على زعم النصارى والثالث فريق من حمقاء قومه لولا دولة على

ان المكذبين من العرب فى زمن النبى صلى الله عليه واله عنادًا وحقدًا لا بعدون شيئا فى جنب المصدقين من المضعفين الذين اعترفوا بالعجز عن الاتيان بسورة من مثل القرآن حتى اذعنوا وامنوا انه ليس من قول البشر وان هو الا وحى يوحى . فاى سبب مبرد لتكذيب جميع العرب نصدقهم لافراد قليلين قالوا عنادًا وحقدًا ما قالوه لاول نظرة ثم رجع الاكثر منهم الى الحق وامنوا ، وهلك الاقل اتباعًا للهوى وانقيادًا للحقد والاحن الكامن فى الصدور .

والذى يثبت اعجاز القرآن ان النبى صلى الله عليه واله انما ظهر بمكة وحولها بين طواغيت قريش ومتعصبيهم فدعاهم الى نبذ جميع عقائدهم واخلاقهم التى تمكنت من ادمغتهم وعزائمهم وهى اصعب كل دعوى فى العالم ولم يكن له من سلاح يصول به بدء الدعوة ولا عدة ولا عدد غير القرآن فما الذى دعى العرب الى تصديقه والجرى على خلاف ما جبلوا عليه لو لم يكن القرآن معجزًا قاطعًا لتحمل معارضته والصد ودعنه لغير المعاند الجاحد . اليس هذا دليلًا قاطعًا على ان العرب ادركوا اعجاز القرآن ؟ وما الذى

سوغ لهؤلاء المضلين اليوم ان يغضوا نظرهم عن احوال العرب زمن النبي صلى الله عليه واله ويجعلوا الدليل على صدق القرآن دليلاً على كذبه ؟ هل دعاهم الى ذلك الا التعصب والعناد ؟

(١٠) قولهم في الدليل الثالث : ان العرب قالوا في القرآن انه اساطير الاولين لما عهدوه من جهود عصرهم ونضاراه الخ . نقلنا هذا القول لحض النفكه فانه احط من ان ينقل ، يقيسون النصارى في جزيرة العرب زمن النبي صلى الله عليه واله باليهود وهذا دليل على مبلغ تعصبهم بذكر النصارى في كل مكان وان لم تكن ادنى مناسبة لذكرهم ، ودليل على انهم في الدرك الاسفل من الجهل لا يعرفون من التاريخ شيئاً ولا بد دون ان النصارى لم يكن منهم في جزيرة العرب زمن النبي من يذكر ولم يكن يعرف العرب منهم الا افراداً في ناصره وبصرى ونجران وليس لهم اثر في الاثار واخبار في الاخبار بخلاف اليهود الذين كانوا ما لئين لجزيرة العرب ينقل عنهم جميع اثار الاوائل واخبارهم .

(١١) قولهم فى الدليل الرابع : ان علماء المسلمين لم يتفقوا على ان اعجاز القرآن بالبلاغة والنظم وهم مؤمنون ان القرآن كلام الله فلو ظهر لهم انه معجز بذلك لاجمعوا عليه الخ .

على مثل هذه التفسطات الواهية والهذيان الفاضح تلتبس قباب الاحكام العلمية المحكمة !! وويل يومئذ للبشر من عادية الجهل ، لنقبل هذا التهافت الاستدلالى ونبنى عليه اعتقادنا واحكامنا فنقول اختلف النصارى بين موحدين ومثلثين ولو كانت النصرانية حقا لاجمعوا على احدهما ، واختلف المثلثون بين كاثوليك وارثودكس وبروتستانت وغيرهما ولو كان ذلك حقا لم يقع الاختلاف بينهم ، واختلفت الكنيسة الغربية مع الكنيسة الشرقية فى الانجيل ومقدار نقرائه فزاد بعض ونقص اخرون بل اختلفت الكنيسة الشرقية فى ادوار مختلفة فقبلت فى بعض الادوار من الانجيل ما كانت نفته منه قبل ونفت فى بعض الادوار ما كانت قبلته فى دور اخر فلو كان الانجيل حقا لاجمع النصارى عليه نستدل هذا الاستدلال ثم نقول بعد ذلك :

وهذا من اوضح الادلة على بطلان النصرانية والانجيل
لمن قصد الهدى وعدل عن الهوى . كما قاله اولئك
المفتونون بعد الدليل الرابع . انكان النصارى يكفون
باستدلالنا هذا على ابطال دياناتهم وكتابهم لوكنا تابعناهم
فى طرز الاستدلال ، وهل كنا نعد امام العلم لو وقفنا
هذا الموقف المشين ، كلا ! ان العلم يطالبنا ان ننهج منهج
الصدق والصراحة فى الاستدلال ونجتنب طرق التمويه
والتزوير الوعرة ، ناظرين الى الحق من حيث هو فى نفسه غير
مبالين بما قيل او يقال ، وما من راى فى العالم الا نجد له
مخالفا من نحو ادم ، فاين يذهب الحق لو جعلنا الاختلاف
فى الراى دليلا على بطلانه . ايها المخادعون المخادلون !!
هلموا الى الانصاف ودعوا التعسف والاعتساف ! وانظروا
الينا كما نظرنا اليكم ، نحن لما نظرنا الى النصرانية وجدناها
دين حق قوامها التوحيد وكتابها الانجيل الحق ، ثبت لنا
ذلك بدليله فعلمنا ان اعتقاد التثليث بقينه انقاض
الاعتقادات التى كانت رابجة فى عصور الوحشية والظلمة
وانه اشبه بالخرافات منه بالحقايق المحكمات ، واخبرنا

الانجيل فرايناه ماثلا بالتثليث وبكثير من الخرافات فاعتقدنا
انه كتاب انسان جاهل كذب على الله ورسوله واشرك
بالله مالم ينزل به سلطانا . نظرنا الى النصرانية والانجيل
بنفسهما وحكمنا فيهما الدليل فحكم لنا بهذا الحكم الذى لا
ريب فيه ولم يجعل اقوال النصارى المختلفة اشد الاختلاف
دليلا او دلالة فى ذلك . فلينظر النصارى الى دين
الاسلام كما نظرنا الى دينهم نظر عاشق للحقيقة مطلب للحق
وسيتجلى عليك الحق فى القرآن بنفسه ويتضح لك النور
الذى طبق المشرق والمغرب من القرآن حتى اعشى ابصار
اعداء الحق وانصار الباطل وتركهم فى ظلمات لا يبصرون

هذا مضافا الى ان ما ذكروه من اختلاف المسلمين
امر مكذوب عليهم اذ ان المسلمين متفقون على ان القرآن
معجز وانه دليل على صدق النبى واذا كان اختلاف بينهم
فانما هو فى وجه الاعجاز كما مر عليك ولا ضير فى ذلك
اذ لم ينف احد منهم اعجازه .

(١٢) قولهم فى الدليل الخامس : ان كثيرين عارضوا
القرآن ولكن الائمة قاموا عليهم فقتلوا فريقا وعذبوا اخر

حتى اعترف بوهن قوله وانلفوا ما عارضوه به .

دع عنك ركاكة هذه العبارة وانظر الى التناقض الصريح الذى جاء فى هذين السطرين تنقد بأن كان المجابين عن ان يأتوا بمثل هذا الكلام ولكنه الاصرار على الباطل يوقع صاحبه فى اسوء من الجنون . يقولون ان كثيرين عارضوا القرآن ثم يقولون ان الائمة انلفوا ما عارضوه به . اذا كان الائمة انلفوا ذلك فمن اين علم هؤلاء المجابين ان التالف كان يجب بمعارضة القرآن هل سمعوه او رأوه حتى يحكموا بانه مثل القرآن ، كلا ! فانهم قالوا بانه انلف ، اذا فكيف ساغ لهم الحكم بمعارضته للقرآن ، هل هو الا تحكم بالغيب واتباع للهوى بغير علم ولا هدى . لم نكد ننقضى عجبنا من هذا الحكم المجائر المتناقض حتى اعترتنا حيرة اخرى اذ نظرنا الى كلام لهم مر نقده بتناقض هذا الحكم وبتهافته . وهو قولهم بعدم معرفة حدود البلاغة لينتهز الحد الفاصل بين كلام الله و كلام البشر ، هذا ما قالوه اولا واذا كان كذلك فكيف يعلم ان التالف كان بدرجة بلاغة القرآن وليس للبلاغة على زعمهم درجة معروفة توضع فيها القرآن وما عورض به

اليس هذا الكلام مناقضا بكذب بعضه بعضا ؟ ولكن
ابن الحباء ليكون مانعا عن هذه المناقضات وقد علمه
هولاء الاغبياء ، وقبل الخوض في هذه الجملة قولهم :
ان الائمة قاموا عليهم فقتلوا فريقا وحذبوا الخ حتى اعرف
بومن قوله . فان هذه عباراة لا تصدر عن انسان عرف
من الحق واهله شيئا ، ان اهل الحق لا يرهبون سطوة ولا
يبالون بسلطان ولا يخشون تعذيبا ولا يخافون في الحق
لومة لائم ، انظر الى عيسى عليه السلام فتل على زعم النصارى
ولم يرجع عن دعوته ، والى موسى سلام الله عليه لا في في
سبيل دعوته انواع العذاب فلم يزده الا اثباتا وجدا ، والى
محمد صلى الله عليه واله عذبه قريش اشد العذاب ومنعوه
حتى عن الطعام وقصدوا قتله مرارا حتى اضطر الى ترك وطنه
واضطروه الى ان يقف بعد ذلك قبيلة امام عدة قريش
وعددها وخيلها وخيلانها مرارا عديدة ، وحاصروه
في المدينة واصحابه ونسائهم واطفالهم . فلم يزده ذلك الا
نشاطا وثباتا وقدما في سبيل حقه الذي جاء به من عند الله ،
وهو في ذلك سواء يوم كان مفردا في مكة مطلعا ومحاصرا

فى الشعب مع اهل بيته ويوم فر من المدينة وحده ويوم كانت الصحابة تحدثه به هو صاحب الحق ومبلغه فى الشدة والرخاء والسراء والضراء لا فرق عنده فى ذلك لان الحق فوق ذلك كله . هذا شأن صاحب الحق ، فماذا انفق لمدع شيئا ان رجع عن دعواه لخفيف من عناء لاقاه فما هو الا متلاعب يبعد عن الحق بقدم واحده على تلاعبه كمن ذكر عنهم هؤلاء البله انهم عارضوا القرآن ، ثم اعترفوا بوهن اقوالهم رهبا من الائمة .

(١٣) قولهم فى الدليل الخامس : ان المسلمين اجتمعوا على معارضة القرآن فى الاقوال (اى احطها) لبيان البون البعيد بين ذلك والقرآن فنسبوا الى مسيلمة قوله . وذكروا شيئا من هذيان مسيلمة . ثم قالوا — على انه لو كان احد بلغائهم من اتباع مسيلمة لانزل هذا الكلام الشامل (اى كلام مسيلمة) منزلة الثريا وابان ان فيه مثلا وحكمة وبلاغة بحجر اهذا السموات والارض عن مثلها وجعلها آية للعالمين .

يزعم هؤلاء المحكمون بلا برهان ان المسلمين افرغوا

على مسيلمة وما ادرى من الذى وكلهم ليدافعوا عن مسيلمة لا ادرى لهم موكلا الا الحقد على المسلمين وتصويب كل ما يخالفهم ولو كان هذيانا . دع عنك النظر فى وكالتهم لحمالها بقصور وغلط عبارتهم . وانظر الى مستند حكمهم يتضح لك مبلغ عتههم وحقدهم ، ان الذين نسبوا هذا القول الى مسيلمة استندوا الى التاريخ فالى اى يستند هؤلاء الجاهلة الاغبياء فى نفيه عنه ؟ هل ذكر التاريخ ان مسيلمة لم ينطق بذلك ؟ وهب انه صرح بنفيه فليس من اصول المورخين نفى الحوادث ولا قبول الشهادة على العدم . اجل لم يبق لهم مستند الا الحقد واتباع الهوى ، وذلك هو الذى دعاهم ايضا الى ان يقيسوا كلام مسيلمة بالقرآن ويدعون ان احدا من بلغاء المسلمين لو كان من اتباع مسيلمة لانزل كلامه الساقط منزلة الثريا وجعله آية للعالمين .

ان قد هوّر هؤلاء الضالين الى هذه الهوة العميقة بقياس القرآن باحط الكلام بر بحنا عن مناظرتهم لان القرآن الذى اعجب به العرب واعترفوا بالقصور عنه لا يمكن ان يوصمه بمثل هذه الوصمة اناس جاهلون بآداب اللغة العربية

ولو اكتفوا ببعض الايرادات الخفيفة الدقيقة لامكن
ان يقنع الانسان نفسه بالنظر اليها متعللاً بانها لدقتها و
غموضها دقت عنها افهام العرب ، فيحتاج الى ردها اما وقد
بلغوا من التسفه هذا المبلغ وادعوا ان القرآن من الانحطاط
بهذه المثابة التي لا تخفى على احد بحيث يقاس هذيان مسيلمة
الفاضح فلا يستحق كلامهم حتى الالتفات اليه اذ لا يتصور
ان يقنع الانسان نفسه بان العرب في جاهليتهم واسلامهم
على كثرة مؤلفيهم من البلغاء والحكماء لم يجدوا في مدة تنوف
على الف وثلثمائة واربعين سنة كلاماً ساقطاً كما يقوله هؤلاء
يلحق بالهذيان وكلام المجانين وليس فيه ما يدق عنه الفهم
او يكون غامضاً لا يدرك لانه واضح الخطاء على ما يقوله
هؤلاء المغفلون . وما ادري ما الذي دعاهم الى الاسترسال
في هذا الكلام الفاضح ؟ لا احسبه الا اسنداجا اراد الله
سبحانه فضيحتهم به واظهار الحق ولو كره المشركون . وحسب
الناظر في هذا الكلام ان ينظر الى مسيلمة فان هذيانه لم
يخف على اهل عصره حتى سخروا به وعرف بينهم بمسيلمة الكذاب
وابن هذا من محمد الذي عرف بين قومه بالصادق الامين

وابتعثه الامم اجيالا بعد جيل مهتدين بنور هدايته سالكة في سبل الرشاد تحت رايته ، لا شك ان العرب الذين افتضح لديهم مسيلمة هم العرب الذين صدقوا محمدا واتبعوه فلو لم يجدوا الحكمة وفصل الخطاب والاعجاز في كتابه لكانت غائبة عندهم غائبة مسيلمة ، هل يمكن ان يكون خفي ذلك على هذه الامم طول هذه الاجيال ولم يدركه الا ملفقو هذه الوريقات ؟ ان هذا التحاظ وحده كاف لمعرفة مبلغ جهل هؤلاء الحاقدين وغباوتهم .

(١٣) دليلهم السادس وهو مركب من دعويين .

الاولى ، حاصلها ان بلغاء النصارى وكثيرا من غيرهم لم يروا هذا الاعجاز في القرآن ولو كان معجزا لرأوه .

وجواب هذه الدعوى اولا بالنقض بان اليهود لم يروا معجزا عند عيسى ولو كانت لديه معجزة لرأوها ، فهل يصح الاذعان بذلك والقول بعدم نبوة عيسى .

وثانيا بالحل بان النصارى الذين يستشهدون بذكرهم هؤلاء المفترون لم يعرف العرب من بلغائهم احدا وليس لهم مزية الانصاف في الحكم لو وجد منهم بلغاء حتى يجعلوا حكما في مثل

بلاغة القرآن ، وهكذا القول في عوام البادين والبهائين الذين استشهد بهم هؤلاء الملفقون اذ لم يعرف منهم رجل احسن شيئا من العلم ليكون شاهدا على بلاغة القرآن ، ومن الحيف في الحكم ان يأخذ بقول العدو في الحكم على عدوه من غير نظر الى اصل الدعوى ، فعلى الحاكم العادل ان ينظر الى الدعوى بنفسها مطلبا بينها غير ناظر الى قول الخصم وغير جاعله دليلا على بطلان الدعوى ، و نحن سننظر في اعجاز القرآن من حيث هو فلينظر معنا طالب الحق نظر انصاف ودونه لا نظر المعاند الجاحد .

والدعوى الثانية خاصلها : انه لو ثبت ان لا بلاغة كبلاغة القرآن لم يستلزم ذلك انه وحي الله لامكان ان ينفرد انسان بعمل من الاعمال لا يشاركه فيه غيره كانفراده بصفة من الصفات كما انفرد اقليدس بكتابه في الهندسة حيث لم يات به احد ممن قبله ولا من بعده مع انه ليس وحي الله

والجواب عن هذه الدعوى الثانية : ان هذا الكلام ناشئ عن الجهل بحقيقة المعجز ووجه دلالته على صدق المدعي النبوة فلنوضح

ذلك لينكشف مبلغ الجهل الذى اعمى هؤلاء المضلين واصمهم
عن الحق المبين

ان الكلام فى معجزة الانبياء متفرع على الاعتقاد بوجود المبدأ
المختار العادل جل جلاله وبعثه للانبياء ارشاداً لخلقه
الى مافيه صلاحهم وفسادهم واتى الملبسين متفقون فى نتيجة
هذه الاعتقادات وان البسها النصارى الف ثوب من
الخرافات ورقعها الاشاعرة ببعض رقع الباطل .

وانما قال الملبسون ببعث الانبياء لان الناس خلقوا
مختارين فى افعالهم غامضة لديهم اسرار الوجود واحكام الاجتماع
فبعث الله النبى لكشف هذا الغموض ولتقييد اختيار
الانسان بفعل ما يصلح لهيئة الاجتماعية و ترك ما يفسدها
ويكفى ان يكون فى البشر نبى واحد يهدى الى سبيل الضلال
. ولكن لما كان البشر بدء نشوهم على غاية من الجهل فى
مدركاتهم غير محتاجين الى كثير من القوانين الاجتماعية
لضعف جامعتهم كان الاحتياج محدوداً ، ولما كانت
مدركاتهم اخذة فى الارتقاء كلما طال الزمان والاجتماع
اخذة بالقوة والتكاثر حسب تكاثر البشر وازدحامهم

احتاج الانسان الى قوانين مختلفة لكل زمان ما يناسب
اهله وهذا سر تعدد الانبياء الى ان حان الوقت الذى
يقبل البشر فيه قوانين صالحة لهم فى كل ازمانهم واماكنهم
على اختلاف سجاياهم وغرائزهم ، وذلك هو الزمان الذى
بعث فيه محمد صلى الله عليه واله بجميع الاحكام والقوانين
اللازمة للبشر ما دامت هذه الحياة فلم تبق حاجة الى
نبى بعده لان حلال محمد حلال الى يوم القيمة وحرامه حرام
الى يوم القيامة .

واذا كان البشر فى حاجة الى نبى مرشد والناس حاملون
به كان حقا على الله ان يميزه عن خلقه بشئ لا يوجد لديهم
بحيث يظهر ان ذلك من الله لتصديق نبيه فى دعواه وذلك
المميز يسمى معجزا ومعجزة ، وذلك المعجز لا يمكن ان يكون
صفة فى النبى او غريزة فيه لان المعجز يجب ان يكون مطابقا
للدعوى مشعرا بصدقها والصفة الخلقية والخلقية لبسه
كذلك فوجب ان يكون حادثا يحدث حين الدعوى من الله
تعالى بحيث يعجز عنه البشر .

ولقد ذكر العلماء للمعجز حدودا وشرائط وفصولا

بهزوها بها عن الحرفة والشعوذة والصنعة والتحر وغير ذلك،
ومرجع جميع ما ذكروه الى امر واحد وهو ان يعلم ان ذلك الحادث
اى المعجزة من فعل الله تعالى لتصديق نبيه فيجب (١) ان تكون
المعجزة مما لا يقدر عليها البشر والا لما دلت على صدق
المدعى و (٢) ان تكون مقارنة للدعوى والا لما دلت
على صدق النبى كما قدمنا و (٣) ان تكون خارقة للعادة
تحدث قبل الدعوى بالف سنة مثلا وبهذا نعرف ان
المعجزة لا تكون صفة فى المدعى ولا غريزة و (٣) ان
تكون مما تحدى بها النبى اى ذكرها وقال انها معجزتى
وآية على النبوة فلو لم يتحد بها كان لم يذكرها ولو صرح بها
قبل وقوعها لم تدل على انها حدثت لتصديق النبى و (٤)
ان تكون غير متوقفة على آلة او واسطة او منشأ فى الحدوث
والا لما دلت على انها من الله لتصديق النبى كالتحر و
الشعوذة وبعض الصنايع الغريبة والمكتشفات العجيبة
و (٥) ان تكون مطابقة للدعوى فلو حدثت معاكسة
كانت دليلا على كذب المدعى كما نقل عن مسيلمة انه
لما سمع بحديث بصاق النبى فى الاباد المالحة فاعذوب

مائها وفى الناضبه فغاضت وفى حين الاوعد فبرء
اراد ان يفعل مثل ذلك فيضق فى بئر فغار مائها وفى
اخرى فاشتدت ملوحتها وفى حين ارمد فاعماه الله او
حين اعترضوا عليه قال انى شرعت فى ذلك قبل ان ينزل
على الوحى والآن فاذن لى فى ابدانكم ولم يؤذن لى فى
ابصاركم فلم يأته احد للاستشفاء مخافة التلف .

هذا شئ ما ذكره العلماء فى شروط المعجزة .

ومما ذكرنا يعرف وصف المعجزة ووجه دلالتها على صدق
النبى الذى يجئ بها . وخلاصة ذلك ان الله جل شانه
عادل يفعل ما فيه المصلحة ويترك ما فيه المفسدة ومن
جملة المصالح التى يفعلها بمقتضى عدالته وحكمته ارسال
الرسل من الخلق لهدايتهم وتأييدهم بمعجزة تدل على
صدقهم وثالثا المعجزة انما تكون حادثة خارقة للعادة
مطابقة لدعوى غير متوقفة على آلة ولا واسطة
ولا منشأ فى الحدوث يتحدى بها النبى وبذلك تكون دالة
على انها من الله جل جلاله لتصديق نبيه . ومثالها
قلب العصى حية لموسى وابراء الاكمه والابرص واحياء

الموتى لعيسى وردّ الشمس ليوشع وشق القمر والقرآن وغيرها
من المعجزات لمحمد وهكذا معجزات جميع الانبياء عليهم افضل
الصلوة والسلام ، فان التحرز علموا انه لا اله ولا طريق
ولا منشأ لما اتى به موسى وانه خارج عن طريقه التحرز
ولا محدث له الا الله فصدقوه وكذلك كل من شاهد وا
معجزات الانبياء علموا ان لا منشأ لمعجزاتهم ولا واسطة الا الله
فلا آلة طبية لعيسى ولا خدع بصر ليوشع وهكذا النبي محمد
صلى الله عليه وآله في ما جاء به من المعجزات فان العرب
علموا انه لم يتعلم التحرز ولا الكهانة ولا السفسطة ولم يستعمل
اي آلة في احداث المعجزات بل لم يتعلم حتى الكتابة ولم يسبق
له تعلم عند احد قط ، واكبر ادل ما جاء به من المعجزات
هو القرآن الكريم لان معجزات الانبياء كلهم وكثير من معاجز
النبي محمد صلى الله عليه وآله غير القرآن لم تكن الا حوادث
خارقة للعادة وفي القرآن مزية فوق ذلك وهي انه حادثة
خارقة للعادة في امر معقود وفان الكلام والبلاغة فيه
معقود وان للبشر وورد شيء غير معقود وفي امر معقود وبلغ
في الاعجاز من احداث غير المعقود وراسا ، وبعبارة اخرى

ان المعجزة تنقسم قسمين الاول ما هو ممتنع وعلى البشر قاسا
بجنسه وفصله كاحياء العصى والموتى وابراء الاكمه والابرص
من دون اله طبيه والقسم الثانى ما هو مقدور للبشر بجنسه
ممتنع بفصله وهذا بلغ فى الاعجاز كالقران فان جنسه
وهو الكلام البليغ مقدور للبشر وفصله - وهو ما به صار
القران خارجا عن طوق البشر - غير مقدور وهذا ابلغ
فى الاعجاز وادعى للمعجزة فان العرب بدون افهم قادرين
على الكلام البليغ عاجزين عن ان ياتوا بمثل القران ولم يعلموا
لذلك منشاء فيدهشون لذلك وتزداد حيرتهم لعجزهم
عنهم قادرون عليه فلا يتكون انه من الله اما يصرفهم عنه
او بابطال المقدور الى درجة غير مقدور ، ولئن كان
احتمال السحر او خدع البصر جاريا فى معجزات موسى وعيسى
فان ذلك الاحتمال لا يجرى فى القران لان موضوعه وهو
المعجز فى الكلام البليغ المقدور بحيث يعجز عنه البشر - خارج
عن قبول السحر والشعوذة والخدع فى البصر وهو معجزة خالصة
حتى عن شائبة الاحتمال .

بقي هنا مجال للسؤال في عموم المعجزات وهو انه يمكن
ان يدعي انسان النبوة ثم يأتي بشعوذة او سحر او غيرهما مما يخفى
سببه استعمالا لواسطة فيظنه المناظر من دون آلة
ولا منشاء ويشبه حينئذ بالمعجزة ولكن هذا السؤال غفلة
عن ما ذكرنا في وجه الاستدلال بالمعجزة من ان الله عادل
لطيف بعباده يفعل ما فيه صلاحهم ويترك ما فيه فسادهم
فاذا اتفق مثل ذلك كان حقا على الله ان يفضح المدعي دفعا
لما ينشأ من الفساد بسبب ذلك ، فاذا لم يفضح الله المدعي
فالعقل حاكم بعذوره من يصدقه اذا لم يكن مقصرا في النظر
والاستفسار لان الوصول الى الحق عليهذا يكون متعذرا
وعدل الله مانع عن ان يعاقب على غير المقدور فليس في ذلك
على تقدير وقوعه من محذور .

اذا عرفت جميع ما تلوناه عليك تبقنت جهل هؤلاء
الهاذين لعدم تمييزهم بين القرآن وبين مثل كتاب مسيلمة
فان الاول جامع لشرائط المعجزة دون الثاني لان صاحبه
لم يتحد به اولا ولان منشاء معلوم ثانيا حيث انه عبارة

عن قواعد طبقها اقليدس على الاشكال والاجسام الهندسية
وغايته ما امتاز به اقليدس انه اهتدى الى تلك القواعد
ودونها وبعد ان دونها اقليدس عرفها الناس وعلموا
منشاها وطبقها كل من اراد تطبيقها فعلم من ذلك انها
ليست من الله لتصديق نبي ولا يلزم عقلا ان يفتح الله اقليدس
اذ لم يدع شيئا ، وابن هذا من القرآن الذي تحدى به
البشر العرب فعجزوا بالعجز عنه وهم ساخطون - كما سيجئ
بيان ذلك - ولم يعرف احد منشاء الاعجاز الى الآن
مع افراد جميع العرب به ، ولو لم يكن حقا لكان من مقتضى
العدل واللطف على الله تعالى ان يبين بطلانه ارشادا
وحفظا لعباده عن الوقوع في الضلالة والهلكة .

فما كتاب اقليدس باعجب من الاكتشافات العجيبة
في الفنون والصنايع كالمراصد الفلكية والآلات الطبيعية
والكيماوية وقواعدها والة البرق وحفظ الصوت ونقله
والة البرق ونقل الصوت اللاسلكيين والطيارات وغيرها .
اتصح ان بعد ذلك معجزة كلا لان مخترعيها لم يجدوا بها

اولا . ولانهم لو تحدوا بها لم يصدقوا ثانيا لان منشأ ما
معلوم وبعد اختراعها قد وكل دارس لها ان يضع مثلها
والمعجز مالم يقدر واحد من البشر على صنعها لا قبل حدوثها
ولا بعده وغايته ما اسميناه اولئك المخترعون ان هدوا الى
هذا الاختراع ، فحالهم وحال اقليدس اشبه بحال فهر
وجد كنزا مخبئا تحت الارض فصار غنيا ، اصح ان بعد
ذلك معجزة له ؟ او نقاس به مخاترع الانبياء ؟

على ان كتاب اقليدس الذى ذكروه قد تصرف فيه
العلماء اكبر تصرف وكشفوا خطأه فى مقالة واحدة من
من مقالاته وثنتين وغيروا فيه وبدلوا ، وابن هذا
من القرآن الكريم الذى تصرف يد التصرف ان تناله بالزيادة
والنقصان وجل عن الخطاء فى جميع احكامه .

من هنا يقف المنصف الخبير على مبلغ بعد هؤلاء
الدجالين عن الانصاف وتشكهم فى دعواه الباطل ،
ومن الغريب المضحك وكل ما فى هذه التلفيقات مضحك
غريب ما جاء فى اخر هذا الدليل من — قولهم وكثيرا ما

ما يرجع لتفضيل احد البلغاء على الاخر الى حب المفضل
او الى الفته لكلامه او كثرة تلاوته او ذوقه او شدة
احترام قائله والمسلمون يؤمنون بان القران كلام الله يفضل
على كل ما سواه ولو لمجرد هذا الايمان فتأمل فى هذا
وانصف ان الله يحب المنصفين

هذا ما قالوه وتشدقوا بالانصاف وما ابعدهم عنه
فى اتى جملة من هذه الجمل يوجد الانصاف انى قولهم ان كثرة
التلاوة سبب لتفضيل الكلام والامر بالعكس فان كثرة
التلاوة توجب الملل والسئم الذين يؤديان الى النفرة الداعية
الى حسبان الكلام مفضولا ام فى قولهم ان الالفة سبب
ذلك . والالفة وكثرة التلاوة لا يجتمعان ، ومما اختص
به القران الكريم انه على كثرة تلاوته لا يزداد الانسان
الا الفة له بخلاف غيره من الكلام فان الانسان ينفر
اذا اكثر ترديد والقران ليس كذلك فانه كما قيل

هو المسك ما كررته يتضوع

واذا سلمنا لهم ذلك على سبيل التنزل فان ما ذكروه
مفقود بالنسبة الى القران الكريم لان النبى صلى الله عليه

واله بعث بالرسالة ودعى الناس الى نبذ عاداتهم واخلاقهم
وكل ما الفوه حتى آلهتهم والتقيد بقيود القوانين الاجتماعية
الصالحة للبشر لما بعث بذلك كبر ذلك عليهم على الناس وكرهوا
استماع قوله وناوءوه اشد مناوءة وقاوموه بجميع الوسائل التي
كانوا يتمكنون منها الى ان اختاروا الحرب على الاستسلام
له ولا فى منهم انواع المصائب والاهوال كما هو مذكور
ثابت فى سيرته صلى الله عليه واله وتاريخ اول بعثته،
ومع هذا هل يمكن ان يقول احد - الا الجاهل المعاند -
ان الناس كانوا يحبونه وهم كانوا قد كرهوا انعاته و
يبغضونه ويشنأونه ؟ ان يقول انهم اكثروا من تلاوته والقرآن
بدء نزوله لم يكثر من تلاوته احد بعد ؟ او يقول انهم
الفوه اوافق اذواقهم والعرب فى اول امرها ان ما زوت بيته
الا ان يكون المراد من الذوق والالف هو فهم اعجازه
للبشر عن الاتيان بمثله بلاغة لان مرجع البلاغة الى
الذوق فيكون ذلك صحيحا وهذا هو معنى المعجز ؟ او يقول
بان العرب كانوا يحترمون قائله بدء ظهوره وهم لم يدعوا
وسيلة للاستهانة به الا اوتكبوها تمسكا بعقائدهم

وغادائهم الفاسدة فجمع ما ذكروه من الاسباب لتصديق العرب باعجاز القرآن على فسادها فى نفسها مفقودة وليس لهم من سبب للتصديق بأعجاز القرآن الا عجزهم حقيقة عن الاتيان بمثله ،

بقى قولهم : والمسلمون يؤمنون بان القرآن كلام الله الى آخره فنقول هذا كلام لا معنى له فى هذا المقام لان كلامنا فى العرب الذين سمعوا القرآن بدء نزوله ولم يكونوا يومئذ مؤمنين فضلا وسبب ايمانهم واذعانهم لعجزهم عن الاتيان بسورة من مثله وهم لم تكن لهم من محبته ولا الفته ولا ذوق ولا اكتاء تلاوته ولا احترام لقائله الذى ربى بين العرب اميا يتيما يكفله جده وعمه الى ان نشأ راعيا ثم تاجرا عند امرأة يرتزق من كسب يدها فهل للتصديق به من سبب الا انه جاء من الله بما يعجز عنه البشر بلا قهر ولا سلطان ولا مال ولا غير ذلك

فانظر الى جهل هؤلاء القوم فيما يتكلمون ومبلغ تعصبهم وتناقضهم وانصف ان الله يحب المنصفين

١٥ — دليلهم السابع ، وحاصله ان المعجز يجب ان يكون

ظاهرًا لكل مشاهد من العلماء والجهلاء كابراء الاعمى
واقامة الميت ومعجزة القرآن بالفصاحة والبلاغة
غير ظاهرة ولا يحسن ان تكون دليلًا على ان الكلام وحي
من الله تعالى .

هذا قولهم ولو كان لهم ادنى شعور لخجلوا منه لكنهم
يتكلمون بلا شعور . انظر الى قولهم ان المعجز يجب ان
يكون ظاهرًا لكل شاهد الخ ، وناقل ما المراد منه .
فان كان المراد بالمشاهد كل من يمكن ان يكون مشاهدًا
ولو بعد ظهور المعجزة من باب اطلاق المشتق على من
يتلبس بالمبدء في الاستقبال مجازًا - فلا يمكن اثبات
نبوة اي نبي لاهل زماننا هذا فان ابراء الاكمه والابرص
واحياء الموتى لعيسى ، وقلب العصى حيّة واليد بيضاء
لموسى غير ظاهرة لاحد منا كما ان وجه اعجاز القرآن
غير ظاهر لنا ايضًا ، وان كان المراد بالمشاهد حقيقته
وهو من كان شاهدًا حين ظهور المعجزة فان اعجاز القرآن
كان ظاهرًا لكل شاهد من العرب في زمان ظهوره حتى عجزهم
جميعهم بالعجز عن الاتيان بمثله وامنوا وكان المشاهد

له اكثر من مشاهدى معجزة موسى وعيسى لان العصى واليد البيضاء لم يشاهدهما الا من كان حاضر محشد فرعون وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى لم يشاهدها الا قليل ممن رآها بعينه وبعد ذلك لم يبق لها اثر يرى لانها من الافعال المتجددة الحدوث المنقضية بانقضاء زمان حدوثها ، بخلاف القرآن فانه ظهر للناس فشاهدوا اعجازه وبقى بايديهم يتلوه ويشاهدون اعجازه فرونا مطاولة الى ان فسد اللسان العربى باختلاطه بغيره من اللغات ، فبقى القرآن بايدى الناس يهتدون بهداه ويستصبحون بمصباحه واعجازه ثابت لديهم بالتواتر القطعى الذى لا يقبل الشك . وبقلة اعجاز القرآن اكثر من قلة معجزات موسى وعيسى وغيرهم من الانبياء فانا لو غضضنا النظر عن ذكر القرآن لمعجزاتهما لم يبق لنا طريق لاثباتها ولا دليل بخلاف القرآن فان اعجازه للعرب عن معارضته اصبح ضروريا قطعيا لكثرة ما نقل عن العرب بطرق مختلفة متواترة يجزم بها كل من شاهدها كما سيأتى .

وحاصل القول : ان طريق ثبوت معاجز موسى وعيسى

لنا هو طريق اثبات اعجاز القرآن ولكن مشاهدي اعجاز
القرآن وتفلتنه اكثر من مشاهدي معجزات الانبياء
الاخرين وتفلتها وان ذات القرآن للمخبر بانه بايدي
الناس هذه بهم بانوارها الى يوم القيامة بخلاف معاجز سائر
الانبياء فلا عصى موسى ولا ميت احياه عيسى ولا غير ذلك
من معاجز الانبياء ما هو باق الى الان فالقرآن اولى واحرى
بالتصديق والاذعان من معاجز جميع الانبياء .

(١٤) دليلهم الثامن وهو لا يفهم وكانهم لم يقصدوا
الا تلفيق الالفاظ وان لم يكن لها معنى ، فانهم قالوا في هذا
الدليل انه يمكن عقلا ان يأتي انسان بافصح العبارات و
احسنها نظما وهي تحكم بان الله شرير فهل يصدق قائلها
اذا اتخذ ذلك دليلا على ان عبارته من وحي الله والا فما الدليل
على ان ذلك محال .

هذا قولهم وانت بعد ما اوردناه عليك من شرائط المعجزة
ووجه دلالتها على صدق النبي تعرف ان هذا القول عار
عن كل معنى . فان العبارات الفصيحة ان كانت بديعة
الاعجاز فلا يمكن ان يحكم بان الله شرير فان هذا الحكم

مخالف لصريح العقل وهو مسقط لأعجاز تلك العبارة لان المعجز لا يمكن ان يتطرق اليه الخلل . وبالجملة اعجاز الكلام موجب لعدم اشتماله على مثل هذا الحكم واشتماله على مثل هذا الحكم دليل على انه ليس بمعجز ، فالاعجاز وهذا الحكم ضدان يستحيل اجتماعهما واعتقاد بعض امة الاديان بنسبته الشر اليه تعالى لا يصلح ان يكون دليلا على صحته هذه النسبة فان المرجع في الاعتقاد هو العقل الصريح لا اقوال الرجال الباطلة فان التقليد في الاعتقاد باب جهالة وضلالة ، ولا يضرنا قول الاشاعرة بذلك وان كانوا كثيرين فان الكثرة لا تجدي نفعا في اعتقاد الانسان الذي يجب ان يعول فيه الا على المكر والعقل .

وهنا امر ينبغي التنبيه عليه فيما سبق ونشير اليه ههنا وهو ان الحادثة اذا استجمعت شرايط المعجزة بحكم العقل بان الله تعالى يفضح من يتمسك بها الاثبات دعوى باطلة بقاعدة اللطف والعدل التي بنى عليها القول بالمعجزة كما مر ، فلو فرض انسان جاء بمعجزة يصدق بها لدعوى نسبته الشر اليه تعالى فلا بد ان يفضحه الله حفظا للعباد

عن الوقوع فى الهلكة والضلالة .

على ان كلامهم لا معنى له فى نفسه ويظهر ما له اذا عارضناه بقولنا يمكن عقلًا ان يأتى انسان باحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ثم يدعى ان الله شرع تعالى عن ذلك فهل يصدق قائله اذا اتخذ ذلك دليلًا على ان ذلك من صنع الله والا فما الدليل على ان ذلك محال .

نقول لهم هذا القول معارضته وان كان لا معنى له وكل ما يجيبون به هنا نجيبهم به عن دليلهم .

(١٧) دليلهم التاسع وهو مركب من مقدمة ودعاوى وكلها باطله ، اما المقدمة فهى ان علماء المسلمين اجمعوا على ان البلاغة فى الكلام هى ان يكون فصيحًا مطابقًا لمقتضى الحال . والفصاحة فى الكلام ان تكون كلماته فصيحة ويكون سالمًا من ضعف التاليف والتنافر فى الكلمات والتعقيد والتكرار . والفصاحة فى الكلمات سلامتها من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوى ومن الكراهة فى السمع . واما الدعاوى فمجموعها ان كثيرًا من القرآن غير بليغ لا تدلم يخلص من شئ فما تقدم .

نلتوضيح المقدمه ليتضح بطلان الدعوى وهى مركبة من
دعاوى ثلاثة وكلها باطله اولاها قولهم: ان علماء المسلمين
اجمعوا على ان البلاغة هى ما ذكروه وليس الامر كذلك فان
محققى علماء البلاغة انكروا ان تكون الكراهة على السمع فى
الكلمات والتكرار فى الكلام مخلا بفصاحتهما ومن ذكر التكرار
لم يذكره بوجه عام مخلا بل قال ان كثرة التكرار لا لفائدة مخلة بالفصاحة
وسيأتى تفصيل ذلك وثانيتها ذكرهم التعقيد مخلا بفصاحة الكلام
دون ان يميزوا بين التعقيد اللفظى والتعقيد المعنوى وثالثتها حسبانهم
ما ذكروه من حدود الفصاحة والبلاغة حدودا لها يميز بواسطتها
فصاحة الكلام العربى وبلاغته بحيث يعرض الكلام العربى عليها فما وافقها
منه كان فصيحا وبليغا وما لم يوافقها كان خارجا عن البلاغة والفصاحة
وليس الامر كما حسبوه فان المرجع فى تمييز الفصيح من غيره ليس هذه الحدود والشرائط
بل الذوق العربى السليم لاغير اذ ان هذه الحدود
انما استنبطها العلماء من كلام العرب لانهم استقرؤا ما كان يصفه
العرب بالبلاغة من الكلام فراوه خالصا مما ذكروه مطابقا لمقتضى
الحال فحكموا ان الكلام البليغ ما كان خالصا مما ذكر مطابقا لمقتضى
الحال فالكلام العربى هو مصدر علم البلاغة واذا كان كذلك

فهو الميزان العلم البلاغة لان علم البلاغة ميزان له . وحينئذ فغاية البلاغة هو اقتدار الانسان على التكلم بكلام بليغ ومعرفة اسباب البلاغة ووجوهها في كلام العرب لا تميز الكلام الصادر عن العرب فان علم البلاغة لا يمكن ان يكون معيارا للمصدوه وما اخذ بلا المعول في ذلك على حكم العرب فما حكموا ببلاغته فهو البليغ وان خالف ما ذكره علماء البلاغة وما حكموا بعدم بلاغته فليس ببليغ وان وافقها .

ومثل علم البلاغة في ذلك علم النحو والصرف وسائر علوم العربية فليس المعول في تمييز الصحيح من غيره فيها على ما ذكره النحاة والصرفيون وغيرهم من القواعد لانها قواعد استحدثت بعد اللغة بقرون عديدة بل المعول على حكم العرب انفسهم فما صححوه فهو الصحيح وعليه تبنى القاعدة وما خطأوه فهو الخطاء لانهم اهل ذلك اللسان قبل البيانيين والنحويين والصرفيين وصاحب البيت ادرى بما فيه .

فمن الخطاء الفاضح تخطأة كلام عربي حكم العرب بصحته بحجة انه مخالف لقاعدة نحوية او صرفية او بيانية . وذلك الكلام هو منشاء تلك القواعد بل يجب تخطأة النحوي او الصرفي

او البيانى اذا ذكر قاعدة مخالفة لكلام العرب لانه انما
يذكر ما كان عليه الكلام العربى من النظم فى قواعد ولذلك
نرى النحويين او الصرفيين او البيانيين يستشهدون على
ما يذكرونه من القواعد باشعار العرب وليس ذلك الا لانهم المرجع
فى معرفة الصحيح من كلامهم والخلاصة ان مثل النحوى والصرفى
والبيانى مثل ناقل خبر ان طابق خبره الواقع كان صدقا
والا كان كذبا ومطابقة اخباره لتلك الناقلين للواقع ان
توافق الكلام العربى وعدم مطابقتها ان لا توافقه فالقواعد
التى يذكرونها ان طابقت الواقع كانت صدقا والا كانت
كذبا .

وبهذا تعرف جليا بطلان ما ذكره هؤلاء الدجالون
فى دعوام مخالفة القران للبلاغة بجهة عدم سلامته مما ذكر
العلماء السلامة منه شرطا فى البلاغة كما تعرف بطلان
جميع ما عابوه على القران فى مخالفته للقواعد النحوية والصرفية
وذلك لان القران كلام عربى اعرف جميع العرب ببلاغته
وانه خارج عن طوق البشر فيجب ان يكون هو المرجع للقواعد
العربية تعرض هى عليه فما قبله منها كان صحيحا وما لم

بقبله كان خطاء لان تكون القواعد مرجعًا له ، ولئن سلمنا عدم خروج القرآن عن طرق البشر فهو من البلاغة بدرجة عالية لا تقل عن شعر امرئ القيس والنابغة والاخطل والاعشى واضرابهم فكما كانت اشعارهم اولئك البلغاء مرجعًا فى استنباط القواعد العربية فلا بد ان يكون القرآن مرجعًا لها منه تستنبط تلك القواعد واذا كان كذلك فكيف يعاب بمخالفته لها بل يجب ان تعاب هى بمخالفتها له اذا خالفته على انه لا مخالفة له كما ستتضح ذلك بذكر مفردات ما عابوه فى هذا الدليل وهى .

اولا دعواهم ان التثنية فرعية المفرد والمركب موجود فى قوله تعالى الحاقة ما الحاقة ، وفى قوله وانفقوا مما رزقكم ، وفى قوله الم اعهد اليكم الخ

قلنا ليس فى هذه الايات شئ من التثنية فردان غيروا الاية الثانية من قوله واذا قيل لهم انفقوا ليكون لما تقدم على اللسان نموها على الفارئين ، ولو فرض ان فيها شبهًا من التثنية فبين هذا المقدار منه لا يخل بالبلاغة لان العرب قد تبلوه وحكموا ببلاغته وهم المرجع فى ذلك كما قد اوضحنا

وسيجئ ذكر قبولهم له ، وقد يدل قبولهم له على عدم تنافره عندهم لان التنافر عبارة عن الثقل على اللسان وهو يختلف باختلاف اللغات فرب كلمة تكون ثقيلة على لسان قوم غير ثقيلة على لسان اخرين وقد يختلف ذلك باختلاف اللغات فان العربي مثلا يثقل على لسانه جميع اللغات الانكليزية وبالعكس فهل يصح للعربي ان يعيب اللغة الانكليزية بالثقل كلا ؛ بل مرجع كل لغة الى اهلها ويجوز ان يكون ما نستثقله اليوم من الكلمات خفيفا على لسان فصحاء العرب لان التفاوت بيننا وبينهم ليس باقل من التفاوت بين العرب والانكليز . فهم المرجع لا نحن . وهم لم يعيبوا هذه الالفاظ بالثقل ، وبالجملة العرب قضاة هذه الخصومة النافذ الحكم فاذا حكموا بعدم اخلال ذلك بالبلاغة يجب ان يقبل حكمهم وان كان ثقيلا على السنتهم فلنا هذا المقدار من الثقل لا يخل وان لم يكن ثقيلا فليس بمتنافر وعلى كل حال لا مجال لتحكم هؤلاء الجاهلين فكلامهم من الشطط في مكان سحيق .

وثانيا دعوام الغرابة في لفظ الكوثر يجوز ان معاصري النبي لم يعرفوا معناه فقال لهم انه دون ما الكوثر انه نهر في الجنة

وعدنه ربي وعن ابن عباس انه فسر الكوثر بالخير الكثير انتهى

قلنا الغرابة هي كون الكلمة غريبة وحشية غير ظاهرة المعنى ولا مانوسة الاستعمال وتختلف ذلك باختلاف القبائل ولغاتها فرب كلمة تكون غريبة عند قوم مألوفة عند آخرين . واذا اردت تمييز الغريب عن غيره رجع الى اهل اللغة التي كان بها التخاطب فما الفوه كان مألوفا مفهوما وما نفروه ولم يفهموا معناه كان غريبا وحشيا ، ولفظة الكوثر كانت مألوفة في لغة الحجاز التي نزل بها القرآن قال امية بن ابي الصلت

يجازي بما يحفيه ان ما احسد من

وجمعن في كوثر كالجلال

وقال الكميت

وانت كثيرها بن مروان طيب

وكان ابوك ابن العقائل كوثرا

فالكوثر يستعمل عند العرب بمعنى العطاء الكثير وبمعنى كثير العطاء وقالوا لكوثر الشيء اذا كثر قال حسان ابن ثابت :

ابوا ان يبجحوا جارهم لعدوهم
وقد ثاد نفع الموت حتى تكوثروا

وكيف تدعى عوانه هذه اللفظة فى لغة الحجاز وان اهل تلك اللغة قبلوا كلاما فيه الكوثر وعدوه فى اعلى مراتب من البلاغة ولو كان غريبا لم يقبلوه ، واما تفسير النبى صلى الله عليه واله للكوثر بانه نهر فى الجنة فليس ذلك لان العرب لم يفهموا معناه بل من باب ذكر المصداق للعام ، تعيين الفرد لاسم الجنس ، كما يقال لك اكرمت رجلا وانت تعلم ان الرجل المكرم هو على بن الحسين مثلا فتقول لاصحابك انك دون من الرجل المكرم انه على بن الحسين فهل يكون لفظ الرجل غريبا معيبا استعماله ؛ وهكذا كل عام لم يتعين مصداقه ومنه الكوثر فان معناه الخير الكثير او الكثير من كل شئ قال اهل اللغة : كوثر كجوهر الكثير من كل شئ وله مصاديق كثيرة فاراد النبى صلى الله عليه واله تعيين مصداقه الذى قصد بهذه الاية فقال ان المراد من الخير الكثير هنا نهر فى الجنة لا خير كثير فى الدنيا فليس بين ما نقل عن ابن عباس وبين الحديث اختلاف ولا منافاة بل هما شئ

واحد وان خفي معنا ما على هؤلاء الاغبياء

ولو فرضنا غريبا وجب ان نقول هذا المقدار من الغرابة لا يخل بالبلاغة بدليل ان العرب لم يروه مخلا كما سيجيء ولهم الحكم في ذلك كما مر .

وثالثا قولهم ان في قوله تعالى وأنبتكم من الأرض نباتا مخالفته للقياس لان قياسها انباتا الخ

هذا ما زعموه وهو ناشئ في سوء الفهم فلنوضح ذلك .

ان مخالفة القياس هو عبارة عن المخالفة في الاشتقاق في مفردات الالفاظ كالفك في مقام الادغام كقوله :

الحمد لله العلي الاجلل . وقياسه الاجل وكالجمع قياسا في غير موردهِ والتصغير على خلاف قاعدته والتثنية على خلاف قانونها وغير ذلك ، وحيث كثر السماعي في مفردات اللغة لم تكن قواعد الصرف مضبوطة على وجه العموم بل كثر الشاذ عنها في اللغة فكانت قواعد الصرف غلبية . والمرجع في المفردات هو اللغة لا غير لان القياس فيها غير عام فلا يمكن الحكم على كلام لغوي حكم العرب بصحته انه مخالف لقياس اللغة بعد ان كان السماعي ليس بأقل من القياسي . ومن ذلك انبته المصادر الآتية لا وزان التي ذكرت

للمصادر القياسية غلبة قل ما لا يوجد فيها الا ذا على ذلك اختلف النحويون
في تعداد الاوزان القياسية فزاد فيها قوم من الصرفيين ما ليس منها وزادوه
داخلا في القياس ولم تستقرأ تمام على عدد معين من الاوزان ، فاذا ورد
مصدر في كلام عربي صحيح العرب لا يمكن القول انه مخالف للقياس اذ القياس
هو حكم العرب ومن الواضح ان العرب صححوا مدة الاية في ضمن القرآن
الذي اعجبوا ببلاغته كما سنوضحه فهل يصح لغيرهم ان يحكموا في
لغتهم مدعيا ان حكمهم فيها خطأ .

على ان اصل اللفظ قالوا انبت الله البقل فهو منبوت
على وزن مفعول فيدل على ان مصدره عندهم نبات ولو كان
انباتا لكان اسم مفعوله على منبت بوزن مفعل واذا كان كذلك
فالقياس انبتكم نباتا لا انباتا .

هذا اذا جاريناهم على الاعتباء في غباوتهم وقلنا
ان نباتا في الاية مصدر من الانبات وانه مفعول مطلق منصوب
بفعل من لفظه لتأكيده ، والامر قالوا فليس كذلك فان نباتا
ليس بمفعول مطلق فهو ليس بمصدر انبت وانما هو مفعول به
منصوب بانبت لتضمنه معنى خلق وصير فهو من افعال التحويل
التي تنصب مفعولين والنبات في اللغة اسم من نبت الغلام

نباتا اذا بلغ مبلغ الرجال على ما ذكره ائمة اللغة فمعنى الآية والله اعلم خلقكم من الارض انباتا فستكونون رجالا ثم صيركم وحولكم بعد ان كنتم نواتا انباتا فستكونون . هذا هو المفهوم من الآية الكريمة ولعله المراد من قول الزمخشري فيما نقلوه عنه في الكشاف من قوله : لانهم اذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة لحدوث النبات .

فان قالوا لو قال انباتا لادى هذا المعنى قلنا كلا ؛ فان الانبات لو صح لدل على تجدد فعل المحدث بالكسر والمراد الدلالة على حدوث المحدث بالفتح فلا بد من ذكر النبات دون الانبات . فانظر الى هؤلاء الاغبياء كيف مسخوا معنى الآية وحكموا بخروجها عن القياس وخطاء والزمخشري في صوابه ولست ادري السبب في ذلك هل هو الغباوة او التعوية وشبه الخلتان هما للانسان الكامل .

على انا لو نزلنا عن هذا المعنى وقلنا ان نباتا في الآية مصدر وهو مفعول مطلق جاء لتاكيد الفعل وان قياس مصدر انبت ان يأتي على انبات فلا يلزم ان يكون في الآية مخالفة قياس لان نباتا في الآية لا يلزم ان يكون مصدر انبت بل مصدر نبت

ويكون حينئذ منصوبا بفعل من معناه لا من لفظه واذا كان من القياس في لغة العرب نصب مثل قعود بمثل جلس على سبيل المفعول المطلق للتاكيد فلم لا يجوز نصب نبات بمثل انبت على انه مفعول مطلق وما السبب في الحكم بانه مخالف للقياس هل هو الا التعصب او الجهل او التمويه والا فلا يتصور مانع لذلك الا التعدي في الفعل واللزوم في المصدر وهما لا يؤثران في تغيير اصل المعنى المبني على المادة دون الهيئة ولعل هذا المعنى هو المستفاد من قول الزمخشري فيما نقلوه عنه من قوله : انبتكم نبتم نباتا او نصب بانبتكم لتضمنه معنى نبتم

اذا نظرت الى محل هؤلاء الاشراف في هذا الكلام ايقنت ان من العبث واللهو من مناظرتهم لانهم قوم صمموا ان لا يهتدوا الى الحق ولو ضحت سبله ، فهم يهيمون بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ولم يكفهم ذلك حتى خطأوا ائمة اللغة العربية مثل الزمخشري في صوابه الذي بيناه ، وبعد ذلك دموا لقواعد العربية سهاما طائشة وخطأوا العرب فيما ذكروه من قواعد اللغة فقالوا في اخر

هذا الدليل : ولكن ائمة المسلمين اعتادوا ان يستنبطوا من غلاط القرآن قواعد فى فنون اللغة آه . اللهم انك تعلم انى نقلت هذه العبارة بقلم مرتعش اسفا لدوس النحو والاصرار على الغى والباطل . نحن قد اوضحنا فيما سبق ان قواعد كل لغة انما تاخذ من اهل تلك اللغة بان ننظر الى كلامهم فنطبق قواعد اللغة حسب منطقهم والقرآن الكريم اولى المراجع بذلك لانه كلام عربى ولان العرب جميعا شهدوا ببلاغته ولانه صار معرض التعبد والتعبد من العرب حيث جاء على خلاف معتقداتهم وطبايعهم واخلاقهم فجهدوا فى تخطئته وانتقاده ولم يجدوا منه موردا يمكنهم القول ولو عنادا بتخطئته ، فهذه الانتقادات كلها لم تعرض لاى كلام عربى غير القرآن واذا كان شعر امرئ القيس الذى لم تتفق له هذه الانتقادات مرجعا وشاهدا للقواعد العربية مثلا فما الذى يمنع الائمة من اتخاذ القرآن شاهدا ومرجعا لجامع كل هذه الانتقادات التى رماها والاتهامات التى اتاها .

هب اننا تنزلنا لهؤلاء السفهاء ولم نعتمد على ائمة

المسلمين فيما ذكروه من القواعد العربيه فمن اين تاخذ تلك القواعد ولم ينقلها الا ائمة المسلمين فمؤسسها على عليه السلام وناقلها ابو الاسود فالخليل بن احمد حتى انتهى الامر الى سيبويه والمبرد والزجاج والمازنى وابن السكيت وابن جنى وغيرهم ولم يوجد بين هؤلاء الائمة ولا نصرانى واحد حتى يعتمد على قوله ومتاخرو النصارى على قلتهم انما اخذوا هذه القواعد من ائمة المسلمين .

واذا انحصر طريق نقل القواعد العربيه بائمة المسلمين وكان هؤلاء السفهاء بجهلهم فيها ولم يصدقوهم بما لم يبق طريق لمعرفتها والوقوف عليها واذا لم يبق طريق للوقوف عليها والعلم بها فعلى اى قاعده بنى هؤلاء السفهاء اعتراضاتهم على القرآن وكيف حكموا بمخالفته للقواعد العربيه وهم غير عالمين بها بالفرض هل لهم طريق غير طريق ائمة المسلمين اولهم الا الحكم بالغيب والقول بلا علم اذا لم يعتمدوا ائمة المسلمين اعاذنا الله من هذا الجهل الفاضح والتعصب الاعمى

ورابعا قولهم ان فى لفظ صهيرى كراهة فى السمع الخ وهذا من غرائب الاقوال فانا قد بينا ان الكراهة فى السمع

لم يذكرها من مخلات البلاغة الشاذ من البيانيين والمحققون منهم انكروا ذلك بدليل ان الكراهة في السمع ان كانت بسبب غرابة اللفظ وعدم انس الذوق به فقد دخل في الغرابة والا فلا يخل هذا ما ذكره محققوا البيانيين ولو سلمنا ان الكراهة مخلة بالبلاغة فمرجعها الى امذاق العرب الذين نزل القرآن بلغتهم والعرب لما لم ينكروا ذلك على القرآن فلا بد انهم لم ينكروه بل هو موافق لامذاقهم ولذلك مثلوه .

واستعمال هذه اللفظة شائع عند العرب قال امرؤ القيس

ضاذن نواسد محكمهو

اذ بعد لون الرأس بالذئب

(وانشد ابن الاعرابي)

فلما بانتها العجوزان

ما هنا ما كنتما تضوزان

فروا الامر الذي تروزان

(وانشد هو)

يتبعها كل ضبنر شدقم اي اكول

(وانشد ابو زيد)

اذا ضاز عنا حضنا فى غنيمة

تفنع جادانا فلم نبر مرما

يعنى قولهم : الا ان يقولوا (اى المسلمون) ان الله اضطر الى الضبزى للفاصلة . وهذا قول مبنى على الجهل والتعصب لان القرآن ليس بسجع مبنى على دعايته الفواصل بل لم تراع فيه فاصلة ما وما جاء فيه من الفواصل لم يكن لرعاية سجع ولا قافية وقد اختص القرآن بذلك من جميع الكلام العربى فان الكلام اما ان يكون شعرا منظوما او سجعا منثورا او خطبا والقرآن خارج عن ذلك كله فانه لم يسبق بمثله من الكلام فلا يتصور فيه الاضطرار ، فضلا عن انه كلام القادر المتعال تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا

وخامسا قولهم : وبلحق بذلك تغييره صورة الاسم كقوله طور سنين فى قوله والتين والزيتون وطور سنين وهو طور سيناء .

وهذا القول يكشف عن جهلهم الفاضح وتمويههم المعيب . فان التين اسم خاص لجبل بالشام وسمى فيها

والزيتون كذلك علم لجبل ومسجد وقريه بالصعيد وطور سنين وسينين وسيناء اسم لجبل الطور والعرب تطلق عليه الاسماء الثلاثه اما لاختلاف لغاتهم او لانه من قبيل المترادف وهو ما اتحد معناه وتعدد لفظه كاسد وليث وعضنفر للحيوان المفترس فليس في ذلك تغيير لصوره الاسم وانما هو لفظ اريد به معناه من غير تصرف كما صرح بذلك اهل اللغه والمفسرون . وليت شعري اذا كان اللغويون قد صرحوا بوضع هذا اللفظ فعلى م استند هؤلاء الاقوام في انكارهم له ودعواهم عدم وجوده وانه معرب عن سيناء وما دعاهم الى هذا الاختلاف الا التعصب وحب الباطل .

وتما قدمنا نعرف جميع ما لغفوه هنا من قولهم (١) ويلحق بذلك ولا بد دي لما اشاروا هنا والذي تقدم هو التنافر والغرابه ومخالفه القياس والكراهه في السمع وليس تغيير الاسم من هذه الانواع ولا ملحقاتها .

وقولهم (ب) وهو اضطرار ليحكم السجع به مناسبته للفظ الزيتون . وقد بينا ان القرآن لم يبن على طريقه السجع فلا يتصور فيه الاضطرار لو كان من عند غير الله فكيف

وهو كلام الله العليم القدير . ومن هنا تعرف شدة خطئهم فى قولهم بعد ذلك : على انه لو قال مع هذا الخطاء والزيتون والتين وطور سينين لكان اسلب واحسن . وقد راعوا فى ذلك الباء فى التين وسينين وهى مخالفة للواو فى الزيتون ولكنك قد علمت انه لا مجال لهذا الهذيان لان القرآن فى معزل عن رعاية الفواصل والروى والقافية وانه فوق ذلك كله . وقولهم (ج) هذا ولا معنى للقسم بالتين والزيتون مع طور سينين ، حسبوا ان التين والزيتون هما الفاكهتان المعلومتان وقد بينا خطأهم لان الاسماء المقسوم بها فى هذه السورة كلها اسماء اماكن وانما اقسم بها لانها اماكن مقدسة جرت فيها وقايع سماوية كبرى لهداية البشر فكانت من العظم والرفعة بحيث يقسم بها وهى التين جبل بالشام ومسجد فيه - والزيتون - جبل حول الشام - وقرنه بالصعيد - وطور سينين - جبل الطور - وهذا البلد الامين .

ويتضح بما ذكرنا الخبط والخلط فى قولهم : فان قيل اراد بالزيتون جبل الزيتون قلنا لا نسلم بحذف المضاف

بغير دليل ولئن سلمنا فمن اين نأتى بجبل التين ، لانا قد بينا ان الزيتون لفظ مشترك بين الفاكهة والجبل فهو اسم جنس لهما وعلم له وكذلك التين فليس فى الآية حذف مضاف حتى يحتاج الى دليل والتين ذكره ائمة اللغة فيأخذ به منهم ومن اطلاقات العرب هذه الاسماء على هذه الاماكن. قال ياقوت الحموى فى حرف التاء فى كتاب مراصد الاطلاع فى معرفة الامكنة والبقاع ما نصه : التين والزيتون جبلان بالشام وقيل التين جبل ما بين حلوان الى همذان والزيتون جبل الشام وقيل التين مسجد دمشق وقيل التين مسجد نوح والزيتون بيت المقدس وقيل التين شعب بمكة يفرع سيله فى بلدح والتين واحد التين المذكور وهو جبل لبنى اسد ويرى التين منسوبا الى هذا الجبل انتهى . بخسه هذا ما يذكره علماء الامكنة والبقاع مضافا الى ما يذكره اللغويون ولكن هؤلاء القوم سلبوا اسفرنوه الشعور مع فضيلة الاطلاع فاخذوا يتهجمون ويهذون فاتلهم الله انى يؤفكون .

وسادسا قولهم : ومن ضعف التاليف والتعقيد

معا قوله انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما
ومراده ان الله انزل على عبده الكتاب قيما بلا عوج ولو قال له
قيما ولم يجعل له عوجا لخلص من ذلك انتهى هذيانهم .

اعلم ان هؤلاء اللصوص الموهمين . ما زلت انكر
في جوانهم وصفاتهم فلا ارى لها وجها ولا ينقض تعجبي من هفوة
لهم حتى اعثر على زلة انكى واضر .

ان هذا اللحاظ الذي لاحظوه على هذه الاية
الكريمة ذكره جميع المفسرين ليبان سر هذه الفاصلة فذكر
هؤلاء الدجالون ما لاحظه المفسرون وتركوا ما ذكروه في
الجواب تمويها على القارئين ولاحياء لهم يمنعهم عن ذلك
فلا يخشون الفضيحة والعار اذا لم يكن لهم حياء .

فلنذكرها وصل اليه اذهان المفسرين من معنى
الاية الكريمة ليتكشف هذيان هؤلاء الموهمين . وهو ان الله
سبحانه علم عباده كيف يحمدونه فذكر الصلة وهي انزال الكتاب
تنبيها على علة الحمد وهي النعمة الجليلة على العباد من انزال
الكتاب الذي لا عوج فيه وهو قيم اي بين الاستقامة
فجعله لم يجعل طالبي الكتاب ورابطها الضمير في له ولفظ قيما

حال ثانى والقياس والحال يقتضيان تقديم الحال الأولى على الثانية من وجهين الاول ان نفى العوج اعم من نفيه بالاستقامة اذ يجوز ان يكون الكتاب خاليا من العوج المناقض ولا يكون بين الاستقامة ولما كان المقام مقام الاثبات فلا بد من تقديم الاعم - كما سيجئ الاعتراف به من اهل هذه الفتوة انفسهم .

الوجه الثانى . ان الحال يراعى فيها الزمان الذى يكون فيه الوصف فاذا قلت سار الجيش وقد هزم امير العدو فاتحا فلا بد من تقديم الحال الاولى وهى جملة وقد هزم امير العدو على الحال الثانية وهى فاتحا لان زمان الهزم مقدم على زمان الفتح وكذلك لا بد الكريمة فان تنزيه الكتاب عن العوج مقدم على زمن جعله قيما لان شدة الاستقامة متاخرة وتنزيه عن التنزيه عن العوج فكانه مقدم زمانا .

فلهذين الوجهين لزم تقديم الحال الاولى على الثانية فاين المعقد وضعفا لتاليف الذى يدعيه هؤلاء الاغبياء ، ولو تنزلنا عن الوجهين المذكورين وفرضنا

الحالين متساويين في العموم والزمان لكان الحكم هو التخيير
بين تقديم احد الحالين على الاخرى ولما لزم التعقيد ولا ضعف
التأليف من تقديم اى الحالين كان التعقيد اما معنوى او لفظى
والاول مرجعه الى المعانى الثوانى وبعد مناسبتها مع المعانى
الاول وقربها ولا كلام لنا فيه هنا لان مراد هؤلاء الاغبياء
ان فى الاية تعقيدا لفظيا وان لم يصرحوا به فالكلام فيه ومرجعه
الى الالفاظ فانه ينشأ من تقديم ما يلزم تاخيره وتأخير ما يلزم
تقديمه والفصل بين المتصلات من الالفاظ والاية الشريفة
سالمة من كل ذلك على تقدير عدم لزوم تقديم الحال الاولى
فاين التعقيد فيها واين ضعف التأليف .

وسابعا قولهم : ويلتحق بهذا من مذهبات البلاغة تعقيده
- اى القرآن - ما تقتضى الحال تاخيره وتأخيرها تقتضى الحال تقديمه
فمن الاول قوله فى سورة الفاتحة الرحمن الرحيم فان الكلام هنا
موجب فيجب تقديم ادنى الوصفين للترقى من الادنى الى الاعلى
ومن الثانى قوله فى سورة البقرة لا تأخذه سنة ولا نوم والمقتضى
نوم ولا سنة للتدلى من الاعلى الى الادنى .

هذا قولهم وليس لهم فيه الا الجرأة فى القول فان المفترين

تعرضوا لهذا الكلام لبيان نكتة تقديم الرحمن على الرحيم والتنبه على النوم بتذكير هؤلاء الاغبياء الاجلاف بصورة الايراد والاعتراض وكتموا ما ذكره ائمة المفسرين من وجه تقديم هذين اللفظين وسره الذى خوج به وبامثاله هذا الكلام عن طوق البشر، فما اجرأهم على الحقائق واضلالهم فى الهوية والبلية ما ذكروه هم من بيان الزمخشرى فى الكشاف وهو قوله: لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها واصولها اردفه الرحيم كالتتمة والترديف للمتناول ما وقع منها ولطف هذا ما تفطنوه من كلام الكشاف ببداهتهم لم يعقلوه فقالوا وردّ الزمخشرى هذا الضعف بما هو اضعف منه فقال - وتفطنوا قوله - ثم قالوا: لنا هذا الشمول ثم بالرحيم الرحمن بلا مخالفة لمقتضى الطبع والعقل والبلاغة. انتهى هذيانهم، وحيث تبين انهم لم يعقلوا كلام الكشاف وانى لهم بالعقل وجب علينا ان نفصله بعبارة واضحة يصل معناها الى اذهان امثال هؤلاء الاغبياء المعاندين فنقول:

البلاغة هى مطابقة الكلام لمقتضى الحال ولما كانت الاحوال تختلف بكثرة فمقتضياتها تختلف باختلافها ولا تراعى فى ذلك

الجمل اللفظية نفسها بل يراعى المقام التى تورد فيه تلك الجملة فرب لفظة فى جملة واحدة يجب تقديمها فى مقام وتأخيرها فى آخر ولو قدمت فى مقام يقتضى التأخير وبالعكس لسقط الكلام عن درجة الاعتبار ولم يعد بليغا مثال ذلك ان تقول فى مقام اهتمام المخاطبين بجائزة ترد من السلطان لشخص وتوقف ورودها : اجاز السلطان فلانا ، واذا كان المقام مقام اظهار جلالة ذلك الشخص وعظم شأنه وجب العكس بان تقول : السلطان اجاز فلانا . فهذا الكلام يعد بليغا ولو عكست بان قلت فى المقام الاول السلطان اجاز فلانا وفى المقام الثانى اجاز السلطان فلانا لم يعد هذا الكلام بليغا .

اذا عرفت ذلك ظهر لك انه لا يجوز الحكم على كلام بانه غير بليغ بمجرد النظر اليه ما لم يراع المقام الذى ورد فيه ذلك الكلام .

واذا اردنا فهم ما عليه الايمان الكريمان من مراتب البلاغة فلا جدال نراعى المقام الذى وردنا فيه والسبب الذى تولتنا من اجله ومن المعلوم ان المقام فى الاولى هو وصف البارى تبارك وتعالى بصفات الجمال والكمال ومن اجله

نزلك ، وفى الثانية تنزهه بتباركك اسمه عن صفات النقص
ولهذا السبب نزلك ولا بد حينئذ من الاهتمام باثبات اكمل
صفات الكمال ونفى ادنى صفات النقص فوجب تقديم اكمل
الصفات فى الاثبات وتقديم ادنى صفات النقص فى النفى
ولذلك قال : الرحمن الرحيم معتدما لصفة الرحمن اهتماما
بها ، ولا تأخذه سنة ولا نوم معتدما للسنة اهتماما بنفيها
لانها اذا انتفت فانتفاء النوم اولى

وبعد ان ذكر الرحمن وهى الصفة الخاصة الكاملة لانها
تتناول جلائل النعم وعظائمها واصولها اردفها بذكر الرحيم
دفعا لما ربما يتسرب الى الفهم من انه عظمت آلائه تخص بعظائم
النعم واصولها دون صغار النعم ودقائقها - كما يعتقد ذلك
بعض الملحدين - فنبه بالرحيم على انه ما من نعمة الا وهى منه سواء
عظمت ام دقت وانه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ، و
كذلك فى الاية الثانية فانه بعد نفى السنة وهى ادنى صفات
النقص المستلزمة لنفى النوم بالاولوية نفى النوم ايضا دفعا لما
ربما يتسرب الى الذهن من ان النوم يأخذه من دون معتدمه
السنة لتكون الاية اصرح فى نفى النقص وآكد .

وخلاصته القول ان المقام مقام اثبات صفات الكمال ونفي صفات النقص والحال مقتضى بتقديم اكمل صفات الكمال في الاثبات وادنى صفات النقص في النفي والصفتان الثابتتان وردتا منعتا للوهم فهما للتوضيح والتاكيد ومن المعلوم ان المؤكد انما يذكر بعد ذكر اصل الوصف والوصف المقصود بالاصالة هو اثبات الرحمانيه ونفي مسمى السنته بوجب تاخير الرحيم والنفي لانهما لم يقصدا بالاصالة بل تبعا لذكر الرحمن والسنته لدفع ما يتوهم من اثبات الاول ونفي الثاني وهذا المعنى هو المراد من كلام الكشاف الا ان هؤلاء الاغبياء من الغباوة بمثابة بعيدة عن مدركاتهم ادراك مثل كلام الكشاف . وفهم امر دقيق مثل الايتين الشريفتين .

وقد اتضح انه لو قدم الرحيم والنوم في الايتين لما بلغت من البلاغة المرتبة التي هي فيها الان ، وبهذا اتضح الخبط في قولهم ردا على الكشاف : هذا الشمول بالرحيم الرحمن بلا مخالفة لمقتضى الطبع والعقل والبلاغة ، لانك قد علمت انه لو قال الرحيم الرحمن في هذا المقام لخالف البلاغة .

ولكنا لا ندري ما الذي اوجب لهم ان يذكروا الطبع والعقل

هنا ولا داعي له الا ولع الملفقين بكلمات الجودان لم يكن لها ذكر في مناسبة

وثامنًا قولهم: واما التكرار فناشئ في القرآن بنودًا.

قالوا هذا القول ليبينوا ان التكرار مخل بالبلاغة.

وقد بينا ان محققي علماء البلاغة انكروا ذلك اشد الانكار وقالوا ان التكرار لفائدة وحكمة تما بتوبيد الكلام بلاغة وبلاغة واكبرانه على ذلك انقيادهم الى القرآن واعترافهم بالعجز عن مباراته وخروجه عن طوق البشر ولم يروا التكرار مانعًا من ذلك لانك قد علمت ان البلاغة عبارة عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال فاذا كانت الحال مقتضية للتكرار اما للتاكيد او تعظيم نعمة او تحذير من نقمة او تهويل او تهديد او غير ذلك من الاغراض التي ينوخاها البلغاء في محاوراتهم - اذا كانت الحال مقتضية لذلك وجب التكرار وكان الاخلال به مخالفًا للبلاغة، وليس هذا الامر مختصًا باللغة العربية بل هو عام لكل اللغات فان تكرار بعض الالفاظ يؤتى به لتذييج الكلام وتزيينه وتحسينه ومنه ما تنبه - نحن الفرس - بالمستراد وهو تكرير جملة معينة في كل بيت من ابيات القصيدة وما اكثره في الشعر الفارسي، واذا نظرت اللغات الاجنبية

كلها وجدت التكرار فى كلها مستظرفا بديعا مقبولا مطبوعا عند اهل تلك اللغة ، واللغة العربية لم تخالف سائر اللغات فى ذلك ، حتى ان علماء البديع فى اللغة العربية وعلماء البلاغة عقدوا فصولا للتكرار ذكروه فيها من محسنات الكلام ومن موجبات البلاغة والبديعيات التى نظمها الادباء جميعا ذكرت التكرار فى انواع البديع . قال صفى الدين الحلى فى بديعيته .

والطاهر الشيم ابن الطاهر الشيم

ابن الطاهر الشيم ابن الطاهر الشيم

وفى بديعية ابن حجة قوله :

نكرر مدحى صدى فى الشامل

النعم ابن الشامل النعم ابن الشامل النعم

وفى بديعية ابن حجة قوله :

نكرر مدحى حلا فى الشامل الكرم ابن الشامل الكرم ابن الشامل الكرم

وفى بديعية المقرى قوله :

المفرد العلم ابن المفرد العلم ابن المفرد العلم ابن المفرد العلم

وفى بديعية السيوطى قوله :

كرّر احاديث مدح السابغ النعم

ابن السابغ النعم ابن السابغ النعم

وفي بديعية العلوي قوله :

السيد العلم ابن السيد العلم ابن السيد العلم ابن السيد العلم

وفي بديعية الطرابلسي قوله :

كرّر احاديث نشر الناشر العلم

ابن الناشر العلم ابن الناشر العلم

وفي بديعية السيد علي خان قوله :

تكرار مولى حلا في الباذخ العلم

ابن الباذخ العلم ابن الباذخ العلم

هذا ما في البديعيات وقد اشتملت كتب البديع والمعاني على ذكر التكرار واقسامه وغاياته واغراضه وحكم البلغاء بان الحال قد تقتضيه فيكون الاخلال به اخلالاً بالبلاغة، ولذلك كثر في كلام الفصحاء والبلغاء في الجاهلية والاسلام نظماً ونثراً .

ولقد اعجبا البلغاء والفصحاء كتاب ابرهيم ابن العباس الصولي الى بعض الخوارج لما خرج على الخليفة : اما بعد فان

لامير المؤمنين اناه فان لم تفن عقب بعدها وعبدا فان لم تفن اغنت عزائمه والسلام . وجرى هذا الكتاب مجرى المثل بين البلغاء وقالوا انه احسن كتاب فى بابه مع ما اشتمل عليه من النكراد وقالوا ان هذا الكتاب يحسن انسجامه ويبلاغته يكاد ان يكون شعرا وان لم يقصده صاحبه فاستخرج منه هذا البيت .

اناه فان لم تفن عقب بعدها وعبدا فان لم تفن اغنت عزائمه

فلم يروا النكراد مانعا عن بلاغة هذا الكتاب واعجابهم به ولقد فضل بعض المكرين فى نكرارهم على جميع البلغاء فقد تحاكمت الخنساء وحسان عند النابغة فى سوق عكاظ فانشدته الخنساء فى رثاء صخر

وان صخرا لمولانا وسيدنا وان صخرا اذا نشتو لنحاد
وان صخرا لتأتم الهداة به كانه علم فى راسه نار

فقال النابغة لولا ان ابا بصير الاعشى انشدنى لقلت انك اشعر امما الا وض لله حكم لبعض المكرين فى الكلام امن اشعر الناس . فان عبيد الله بن طاهر كان يوما عند المامون فقال له يا ابا العباس من اشعر من قال الشعر فى خلافه

بني هاشم قال : امير المؤمنين اعرف به مني ، قال : على كل حال ، قال عبد الله : اشعرهم الذي يقول في معن بن زائدة

ابا قبر معن كنت اول حفرة ... من الارض خطت للسماحة مضجعا

ابا قبر معن كيف واريت جوده ... وقد كان منه البر والبحر مترعا

لئن غال سعد الجود والحود والندى ... لقد كان حيا ماضيا حين ودعا

فحكم له بانه اشعر من قال الشعر في عصره مع انه كرر ابا قبر معن مرتين في بيتين متصلين وكرر لفظ الجود في بيت واحد مرتين ولم يكن تكراره مقتصرا على ذلك في هذه القصيدة فانه يقول منها .

الما على معن فقولا لقبره

سقتك لغوادي مربعا ثم مربعا

ولما مضى معن مضى الجود والندى

واصبح عرنين المكارم اجدعا

فكم كرر لفظ قبر ولفظ معن مع انه اشعر الناس وهو الحسين بن مطير الذائع الصيت

ولبلغاء العرب الذين حكم لهم بالسبق في ميدان البلاغة من التكرار الكثير ما فان كلامهم وديجه : فقد انشد الفراء :

وكاين وكم عندى لهم من صنيعة
اياد ى تثنى هما على واوجبوا

وانشد ايضًا :

كم نعمة كانت لكم كم كم وكم

وقال آخر :

نعق الغراب ببين لبنى غدوة كم كم وكم لفراق لبنى ينعق

وقال آخر :

طلبت لنفسى بعض الامور فاولى لنفسى اولى لها

وقال آخر :

الا ياصبى نجد متى هجت من نجد
لقد زادنى مسراك وجدًا على وجد

الى ان قال :

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا
على ان قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع
اذا كان من تهواه ليس بذى ود

كرر لفظ نجد ووجد وعلى ان قرب الدار مع انه من افصح العرب

وابلغهم وقال كثير عزة :

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا ... فلو صبكما ثم ابكيا حيث حلت

وما كنت ادري قبل عزة ما البكا ... ولا موجعات القلب حتى تولت

فوالله ثم الله ما حل قبلها ... ولا بعدها مخلوقة حيث حلت

فانظر الى النكرة فيه ولقد كرر في هذه القصيدة لفظ عزة مرادا وقال آخر :

لقد علم الحي اليماني انني ... اذا قلت اما بعد اني خطيبها

وقال آخر :

وجهات وجهات العقيق امامه

وجهات خل بالعقيق نواصله

وقال ابو تمام :

بالصبر الصبر والادوع الادوع ... وعم منهم وبالتباب التباب

وقال آخر :

سقى الله نجدًا والسلام على نجد ... وياحبذا نجد على القرب والبعد

نظرت الى نجد وبغداد دونه ... لعلي اري نجدًا وجهات من نجد

وقال المتنبي :

العارض الهتن ابن العارض الهتن ... ابن العارض الهتن ابن العارض الهتن

وقال مهلهل بن ربيعة يرثي اخاه كليبًا :

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا طرد اليتيم من الجزور

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا ما ضيم جيران المجير

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا رجفا لعضاه من الدبور

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا خرجت مجنأة الخدور

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا ما اعلنت نجوى الامور

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا خفق المخوف من الثغور

على ان ليس عدلا من كليب ... غداة فلا فل الامر الكبير

على ان ليس عدلا من كليب ... اذا ما خاض جاد المستجير

فانظر الى هذا النكرة وما املحه واظرفه على كثرته .

وقالت ليلى الاخيلية ترثي ثوبة بن الحمير :

لنعم الفتى يا ثوب كنت اذا التقت

صدور العوالي واستشال الاسافل

ونعم الفتى يا ثوب كنت ولم تكن

لتسبق يومًا كنت فيه تحاول

ونعم الفتى يا ثوب كنت تخائف

اتاك لكي يجبى ونعم الجامل

ونعم الفتى يا ثوب جارًا وصاحبًا

ونعم الفتى يا ثوب حين تناضل

لعمري لأنت المرء أبكى لفقده

بمجد ولولامت عليه العواذل

لعمري لأنت المرء أبكى لفقده

ولولام منه ناقص لرأى جاهل

لعمري لأنت المرء أبكى لفقده

اذا كرهت يا لملحمين السلائل

ابى لك ذم الناس يا ثوب كلما

ذكرت امور محكمات كوامل

ابى لك ذم الناس يا ثوب كلما

ذكرت سماح حين تأوى الأرامل

فلا بعدنك الله يا ثوب انما

لبيت حمام الموت والموت عامل

ولا بعدنك الله يا ثوب انما

كذاك المنايا عاجلات وآجل

ولا بعدنك الله يا ثوب انك عليك الفوادى المدجنات الهواطل

وقد امتازت هذه القصيدة في بابها عن كثير من قصائد العرب مع انها خرجت من تكرار الى تكرار لاغراض بينه وحكم واضحه .

وقال الحرث بن عباد في حرب بكر وتغلب :

قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال
قربا مربط النعامة مني قربا بها وقربا سربالي

وكرر قوله قربا مربط النعامة مني في اكثر ابيات هذه القصيدة وهي تعد من اولى ابيات القصائد في البلاغة مع ما فيها من التكرار الكثير ، ولما انهزمت بكر وظهرت عليها تغلب وقفت بكر بثنان نضاحا يبكر :

دعي دعي دعي غي غي الحرار والتظلي

فرجعت بكر وتغلبت على تغلب وجرى هذا البيت لملاسنه وبلاغته مجرى المثل عند العرب مع انه كان تكرارا محضا .

وقالت لبانة بنت ربيعة تزوج الامين وكان عقد عليها وقتل قبل ان يبني بها :

ابكيك لا للنعيم والانس بل للمعالي والرمح والفرس
ابكي على ستيد نجعت به ارملني قبل ليلة العرس

يا فارسًا بالعراء مطرحًا خانته فؤاده مع الحرس
من للحروب التي تكون بها ان اضرمت نارها بلا قبس
من للبنا ما اذا هموا سغبوا وكل غان وكل محتبس
ام من لبرام من لفائدة ام من لذكوا الاله في الفلس

وقالت عمرة بنت النعمان بن بشير ترثي زوجها .

وحدثني اصحابه ان مالكا اقام وناري صحبه برحيل
وحدثني اصحابه ان مالكا ضروب بنصل السيف غير نكول
وحدثني اصحابه ان مالكا جواد بما في الرحل غير بخيل
وحدثني اصحابه ان مالكا خفيف على الحالات غير ثقيل
وحدثني اصحابه ان مالكا صروم كما ضي الشفرتين صقيل

وقالت امرأة عبيد الله ترثي ولدها لما هجم يسر بن ارطاة من قبل معاوية على اليمن وكان عبيد الله واليها من قبل علي وترك ولديه فلما صعد يسر الدار وجد الصبيين فاخذ عليهما بسيفه وذبحهما بين يدي امهما فهامت على وجهها حتى اتى البيداء وكانت تأتي الموسم تنشدهما وتقول :

يا من احس بابني اللذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يا من احس بابني اللذين هما مخ العظام فمخي اليوم مزدهف

يا من احسن يا بنى الدنيا فما قلبى و سمعى فضلها اليوم مخطف
من دل والهه حيرى مدلهه على صبيبين ذلا اذ غدى السلف
نبئت بسرا وما صدقت ما زعموا من افكهم ومن القول الذى اعترفوا
انحى على ودجى ابنى مرفقه مشحوذه وكذاك الاثم يقترف

وقد غنت الركبان هذه الابيات لبلاغتها مع ما اشتملت عليه من التكرار .

وقالت الخنساء ترثى صخرا .

اعينى جودا ولا تجمدا الا تبكيان لصخر الندى
الا تبكيان الجرى الجميل الا تبكيان الفتى السيدا

الى ان قالت

اذا ذكرا المجد لفيه ثاذر بالمجد ثم ارتدى

وكررت ذكر المجد فى هذه القصيدة مرارا مع انها من ابلغ شعر العرب وقال جميل بثينه :

الا طال كمثانى بثينه حاجه من الحاج ما تندرى بثينه ما هيا

وقال :

اقاهبنا الارواح من كل جانب بدا لى ما هاج قلبى هبوبها
هوى تذرف العينان منه وانما هوى كل نفس حيث حل حبيبها

وقال الفرزدق يمدح علي بن الحسين عليهما السلام

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم

هذا التقي النقي الطاهر العلم

وقال المخبل السعدي :

باهند هل من نائل باهند للعاني الأسير

منه نبذة يسيرة من اشعار بلغاء العرب وفصحائهم كما فيها النكرة في المفرد والمركب والجمل وعلى ذلك جرى ديدن العرب في محاوراتهم فلم يعدوا هذا النمط من سبك الكلام مخلا بالبلاغة بل جعلوه مما يزيد الكلام حسنا ويعطيه رونقا وبهجة . وبعد ان طوت اللغة العربية الوف المراحل على هذا النمط جاء فريق في اخر الزمن بعد ان صدئت اللغة ولم يهتدوا من اسرارها الا القليل فاخذوا يمتدون بها المعارضة للغة وشطا ولون الى واضعها والعرب الذين تكلموا بها زاعمين ان الجمع مخطئون وان النكرة مخل بالبلاغة خلاف ما عليه البلغاء فان اراد هؤلاء الحمقاء ان العرب حكموا بان النكرة مخل بالبلاغة

فليس كذلك كما علمت . وان اراد واوضع لغته جديدة على
ما تشتهيه انفسهم فلا مشاحة لنا فى ذلك - ونحن لا نعارض
لغة الاسپرانتو فى مصطلحاتها ومناهجها - ولكن كلامنا
ليس فيها فانا نتكلم فى بلاغة القرآن الذى نزل طبق اللغة
العربية دون اللغة المختلقة .

واذ قد عرفت حسن التكرار ووجوبه فى بعض الاحوال
وجب ان نعلم ان التكرار بجميع انواعه لا بد ان يكون لغاية
وان كان عبثا مخالفا لطريق العقلاء فى محاوراتهم المبنية
على الاسرار والحكم ، وحينئذ ينبغى ان نذكر حكمة التكرار
فيما ورد منه فى القرآن الا ان ذلك يستوعب المجلدات الضخمة
ونحن بصدد ما نحن بصدده من كشف النقاب عن هذيان هؤلاء
الموهمين فالاولى ان نقتصر على ما ذكرناه وهو موردان ، الاول
تكرار لفظ الناس فى سورة الناس الثانى تكرار قوله تعالى
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فى سورة الرحمن ، والموردان من اعلى
مراتب البلاغة فيهما من الاسرار ما يبهر الانسان ومن الحكم
ما يحير الالباب ولكن هؤلاء القوم عموا وصموا فهم لا يفقهون .

اما المورد الاول فقد جاء لفظ الناس مكررا فى هذه

السورة خمس مرات وهو قوله تعالى :

(قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس) .

وذلك لاستاد عظمته وحكمه بالغة ، فان هذه السورة الشريفة نزلت لتعليم العباد على لسان النبي (صلى الله عليه وآله) طريقة التحرز من المضار التي تعرض للنفوس البشرية بسبب التشكيك والوسوسة بحيث يحترز منها الانسان دون ان يتسبب للتحرز والتحذير عنها تشكيكا ووسوسة لانه يكون حينئذ كراكض على ما فر منه ، فاقتضى شدة هول الشر المستعاذ منه لسيوع المستعيذ الى التحرز منه ، وتعظيم شأن المستعاذ وبيان قدرته على الاعاذة ليطمئن اليه المستعيذ ولا يبقى في هول الشر المستعاذ منه راهبا جازعا ، وبيان الرابطة بين المستعيذ والمستعاذ به ليكون الثاني حقيقا باعاذة الاول فتركن اليه نفسه وتخرج من الاضطراب ، وبيان جلالة قدر المستعيذ وخطورة شأنه لتثبت اهليته للتحرز من الشرور ونفسه تشويقا له الى التحرز عن ذلك ، وانما الدليل والبرهان

على ذلك كله لتقرن الدعوى بالدليل .

وكل هذه الاسرار العظيمة قد جمعت فى هذا النظم العجيب مع قصر جمله وقلة الفاظه ، فان المأمور بالاستعاذة هو النبى صلى الله عليه وآله تعليما للناس ان يستعيذوا من شر الوسواس - بفتح الواو وكسرها اسم مصدر او مصدر والموسوس به الوسواس كالزلزال بمعنى المزلزل - والوسواس هو صدر الناس فهم المجدرون بالاستعاذة والتحرز منه وهو من جهة الجنة والناس - اذا كان الظرف متعلقا بيوسوس - او هو من الجنة والناس - اذا كان الظرف بيانا للوسواس - فلا يكاد يسلم منه احد ولذلك يجدر الاهتمام بالتحرز منه وانما يتوسل فى التحرز منه برب الناس وخالقهم وملك امورهم ومصرفها والمهيمن لعباده ومما يتوسل من اجله بهذه صفته لا بد ان يكون خطيرا لانه احتيج فى التخلص منه الى ذى القدرة الازلية والوحدة الصمدية ، لكن لا يجب ان يضطرب الانسان من هذا الشر بسبب شدته وهوله لان المتوسل به للخلاص من ذلك هو رب الناس وملكهم بيده جميع امورهم قادر على ان يثبت ما شاء منها

وبقي ما شاء وهو المستحق للعبادة اذ لا تعلق للانسان بربه
فلما كان بين الانسان وبينه هذه العلائق وجد المقتضي
لرفع الشر عنه لانه قادر على ذلك والانسان عبد المتوسل
به المتطلع اليه ، وهذه العلائق هي التي تثبت شرف الانسان
ورفعته التي تؤهله للتجدد في التجنب عن ذلك الشر ، و
هذه الصفات الثلاث وردت كل منها كصفة مستقلة
لا دخل لها بالاخرى فنزل تعداد الصفات منزلة تعدد الذات
فكان المتوسل بهم عديدون قامت كل صفة تنزيلا مقام
متوسل به قادر على الاغاثة ودفع الشر ولذلك اضيفت
كل منها الى الناس ولم تضف الى الضمير ولو اضيفت له لما
كانت لها هذه المزية من التنزيل وهذا هو سر الفصل بين
الصفات وعدم وصل بعضها ببعض بالواو وفي تكرار لفظ
الناس مضافا اليه هذه الصفات تنبيه على شرف الانسان
واهليته لتجنب ذلك الشر ، وفي هذا التعداد اشارة الى
التدرج في التوصل الى الدليل على عظم المستعاذ به المسئول
لهول المستعاذ منه فان الانسان اذا فكر في نعم الله تعالى
عرف ان له ربا فاذا توغل في الفكرة توصل الى ان ذلك الرب

المصرف لها فيستدل من ذلك على انه هو الاله المستحق للعبادة
ببرهان لا بمجرد دعوى .

هذا شئ مما توصل اليه الفهم من سر التكرار في هذه
السورة الشريفة ولا شك ان هذه المعاني المتعددة والاغراض
المختلفة لا يتسنى جمعها في هذه العبارة الوجيزة الا لرب الارباب
خالق الكلام معلم الحكمة والبيان .

وهذه الاغراض التي امتاز بها كلام الله عن كلام البشر
هي التي اعابها هؤلاء الاغبياء فما اشد غباوتهم وانكى من الفهم
حظهم .

واما المورد الثاني وهو تكرار جملة فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ فان السر والحكمة فيه اوضح من ان تخفى على غافل لان
السورة قد عددت آلاء الله ونعمه التي يستدل بها على المبدأ
والمعاد ويمكن ان تكون اساس الايمان وكلما ذكر الله نعمة
قررها وحذر من الجحود بها بقوله فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
لئلا يغفل السامع عند تعداد النعم عنها فيطرق اليه
الجحود وهذا من مستطرف الكلام وبديعه وهو شايع في عرف
العرب حتى اليوم . الا ترى انك تعد من بديع الكلام

ان تقول لخادم عصاك : الم احسن اليك بان ربيتك ،
الم احسن اليك بان كسوتك ، الم احسن اليك بان اشبعتك ،
الم احسن اليك بان اكرمت عاتلتك ، وهكذا تكرر عليه
النعم التي انعمت بها عليه وتقول مقدمة لكل نعمة الم احسن
اليك في تلك فتحسن تكريرها ولو بلغت الف مرة ، وقد
اسلفنا من ملح شعر العرب وبليغه ما اتى ظرف فيه التكرار
وعد من محسنات الكلام ، والعرب هم المرجع في ذلك فلا
مجال لهذيان هؤلاء الاغبياء المعاندين .

وتاسعا قولهم : ان في القرآن لحنا كثيرا وضعف لغة
وتركيب هذا قولهم وهو مما يقضي الى العجب فان اهل اللغة
العربية يعترفون بعلو منزلة القرآن في الفصاحة ورفعة درجته
في البلاغة حتى اقروا انه خارج عن طوق البشر وهم اهل اللسان
وهؤلاء الاجانب عنه يقولون ان فيه لحنا كثيرا وضعف
لغة وتركيب ، عرفنا معنى اللحن وضعف التركيب فما معنى الضعف
في اللغة اليست هي كلمة لا معنى لها ؟ لكن هؤلاء الطاعنين
لشدة حرصهم على الطعن اخترعوا الفاظا مهملة .

يقولون ان في القرآن لحنا وضعف تركيب فما هي حجتهم

فى ذلك ؛ استندوا الى قرائة النصب فى الصابرين من قوله تعالى فى سورة البقرة : وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَ الصَّابِرِينَ ، وفى حمالة الحطب من قوله تعالى فى سورة تبت : وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ، والى قرائة الرفع فى والصابئون من قوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ . الى هذه القراءات استندوا وقالوا ان الصواب رفع الصابرين وحمالة الحطب ونصب الصابئين .

وهذه الدعوى فى غاية البطلان والفساد مبنية على التوهم المحض ، فان جميع المفسرين ذكروا هذه القرائة فى الآيات الثلاث وذكروا اعرابها على ما توافقه القواعد العربية فقالوا ان نصب الصابرين على المدح وهو شايع فى التوابع ، ونصب حمالة على الذم وهو كذلك شايع فى اللغة العربية ورفع الصابئون على العطف على محل اسم ان لانه مبتدى فى الاصل ومحله الرفع . هذا ما ذكره النحاة والمفسرون طبق ما استنبطوه من محاورات العرب ، لكن هؤلاء المتوهمين لما كانت دعاويهم مبنية على التوهم ذكروا ذلك على سبيل الاعتراض على القرآن وحين تعرضوا لاعرابه على ما ذكره النحا

والمفسرون قالوا : ان هذا من مخترعاتهم
مع ان لغة العرب مشحونة بذلك وكل النحاة قد ذكروا ذلك
بحيث لم يشذ منهم احد .
وقد ورد في شعر العرب ونثرهم
قال الخوئي ابنه بدر بن هفان

لا يبعدن قومي الذين همو سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبين معاقد الازر

فنصبت النازلين مع انها صفة قوم او جرتها في لهم وعلى كل
حال فمراعاة اللفظ تقتضي رفعه ولكنها نصبته على المدح
وانشد الفراء قول الشاعر

الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وذا الرأي حين تغم الامور بذات الصليل وذات اللجم

نصب ذا على المدح مع انها معطوفة على المجرور
وانشد الفراء عن احد العرب قوله :

فلبث الى فيها النجوم تواضعت على كل غث منهم وسمين
غيوم الحيا في كل محل وكريهة اسود الشرى يحمين كل عرين

نصب غيوم على المدح ورفع اسود على القطع مع انهما تابعان

للمجرور ولبس النصب على المدح والذم مقصورا على التوابع
فقد انشد لاحد العرب قوله :

سقونى الخمر ثم تكنفونى عداة الله من كذب وزور

بنصب عداة على الذم مع انها ليست من التوابع .

وليت شعرى اذا لم يعتمد هؤلاء على نقل النحاة وكلام
العرب فعلى من يستندون فى ضبط قواعد اللغة العربية ؟
وبماذا علموا ان ما ذكره النحاة كان من نحو كلامهم ولم ينشئوا
الا فى زمان فساد اللغة ؟ هل دعاهم الى ذلك الا الجمد
والتعصب ؟

ومع غض النظر عن ذلك كله فان هذا غير وارد على
القرآن نفسه بل على القراء ولا دخل له بالقرآن ، فان القرآن
نزل نجوما فى اوقات شتى وبقى متفرقا عند المسلمين وبعد
وفاة النبى صلى الله عليه واله جمع والف واخذ العرب
بقرائته ولم تكن القرآت الا تابعة لسلائق العرب وطباعهم
فقرء بقرآت مختلفة وكلها موافقة للغة العربية فلو فرضنا
ان بعض القراء قرأ على خلاف القواعد العربية وكانت
تلك القواعد هى المرجع فى صحة اللغة لا سلائق العرب فليس
اللوم متوجها على القرآن بل على ذلك القارء الذى فرض انه خالف

القواعد ، ولا وجه للاخذ بقرائنه والاعتراض بها على القرآن وطرح قرائة النابغين ، ومن هنا نعرف مبلغ تعصب هؤلاء المعاندين وبعدهم عن الانصاف فانهم ذكروا قرائة الرفع في الضابرين وتمالة الحطب ولم يجعلوا ذلك دافعا للاعتراض على القرآن .

على ان الانصاف والحق يقضيان بالحكم للقارء بالصحة في مورد تخالف قرائته القواعد وللقواعد بالخطأ فان القراء كلهم من العرب المسلم بفصاحتهم فقرائتهم هي المرجع والميزان للقواعد وليست القواعد مرجعا لها لما بينا من ان قواعد اللغة العربية تما استنبط من محاورات اللغويين فلا معنى لتخطئة اللغويين بحجة ان محاوراتهم مخالفة للقواعد .

ولذلك قال ابن الجزري : كم من قرائة انكرها بعض اهل النحو وكبر عليهم ولم يعتبر انكارهم كاسكان باءكم وبأمركم وخفض والارحام ونصب ليجزي قوما والفصل بين المضافين في قتل اولادهم شركائهم وغير ذلك انتهى

وانما لم يعتبر انكار النحاة لان القراء من فصحاء العرب فهم المرجع في اللغة لا النحاة الذين بنوا علمهم على قواعد محصورة

لا يسلم العرب بها على وجه العموم .

وقد بلغ من تعصب هؤلاء الجهلاء وعنادهم انهم نقلوا كلام ابن الجوزي الذي نقلناه وجعلوه طعنا على القرآن مع ان كثيرا من النحويين انكروا بعض قراءته .

وخلاصة القول انه لا يمكن الاعتراض على القرآن بانه مخالف لقواعد اللغة العربية لان الحكم في مقام تعارضه مع القواعد هو الاخذ به وطرحها لان المتكلم به عربي وقد صح جمع العرب وهو المرجع في فهم صحة اللغة لا القواعد ، على ان ما ذكروه من القراءات موافق للقواعد العربية كما نص عليه النحويون ولو كان مخالفا لها فالوجه هو الاخذ بقراءة القراء لانهم عرب فصحاء ، ولو فرضنا خطاءهم فلا وجه للاعتراض على القرآن بل على الجميع لان القراءة لم يعلم انها هي القراءة التي نزل بها القرآن حيث قد تعددت القراءات فالاخذ ببعضها وانكار الاخر ظلم واجحاف بعيد عن الانصاف لا ينتصب له الا المتعصب والعناد والجهل . اعاذنا الله من ذلك كله .

وناسعا فولهم : ومن نافيان البلاغة من القرآن واعجازه عن الاعجاز كثرة الحشو ومن ذلك ما في الفاتحة . ثم استهزؤا

بأقوال بعض المسلمين انها مجموعة العلوم وان كل ما فيها مجموع
في البسملة وكل ما في البسملة مجموع في نقطة الباء ، وقالوا
ان البسملة مشكوك في انها - كذا - من القرآن وهذا الكلام
خارج عن الموضوع لانهم بصدد الاعتراض على القرآن
فما معنى التعرض لكلام بعض المسلمين وما ربطه بالقرآن
وما وجه تحميله اياه ؟ هبان بعض المسلمين قال ما قال
خطاء اوصوابا فاى ربط للقرآن به على ان قول ذلك البعض
ليس قولا لجميع المسلمين فما وجه الافتراء بنسبة ذلك الى جميع
المسلمين ، ومن قاله انما ذكره على سبيل للغز والاشارة
الى ان توحيد الله تعالى وتقديسه بصفات الكمال والاستغناء
به وعبادته واللجاء اليه في الهداية الى طريق الحق والتنحية
عن طريق الباطل وهو ما اشتملت عليه الفاتحة - ان ذلك
احسن ما يستفيده الانسان في حياته وهو اصل كل علم وكل
ذلك مجموع في توحيده تعالى ووصفه بصفات الكمال وهو
ما اشتملت عليه البسملة واصل كل ذلك هو امر واحد وهو
الانقطاع الى الله تعالى واشار اليه بنقطة الباء ، وهذا الكلام
اشبه بكلام الصوفية الباطنية المستبق على الالغاز والمعميات واستخدام

الحروف والنقط فى ما يقصدونه من الكلام ، فلا دخل له فى القرآن حقًا كان كلامهم او باطلًا ان كان حقًا فلهم فائدته وان كان باطلًا فعليهم تبعته والقرآن فى معزل عن ذلك كله ، ومن الغريب قولهم ان البسملة مشكوك فى انها من القرآن ، و ليس الغريب الغلط باستعمال فى هنا اذ الصواب مشكوك انها من القرآن لان هذا انتقاد لفظى نخبنا عنه فى رسالتنا هذه ، وانما الغريب حكمهم بان البسملة مشكوك انها من القرآن ناسبين هذا الشك الى المسلمين مع انه لم يشك احد فى ذلك اذ ان المسلمين مجمعون على ان البسملة جزء من الفاتحة وانما التردد فى انها هل هى جزء من سائر السور كما هى جزء من الفاتحة اولا وهذا الرد هو الذى اوقع هؤلاء الاغبياء فى الضلالة و الخطاء فحسبوا ان الرد واقع على كونها جزء من القرآن وهو امر لا تردد فيه بين المسلمين ، وعلى كل حال فان ذلك كله خارج عن موضوع هذه الرسالة فلنضرب عنه صفحًا ونذكر ما وجوه حشوًا .

وقد زعموا ان ما بعد الصراط المستقيم حشو وتخصيص وهو منافٍ للبلاغة .

هذا قولهم وما اجرام فى البهتان والتزوير بل ما أو غلهم فى الجهل والتعصب والعناد ، فان الحشو غير مخل بالبلاغة بل هو تمام يزيد الكلام حسنا ويعلى درجته فى البلاغة ومنه ما يسميه البلغاء بحشو اللوذعى تشبيها للكلام بالخبز واللحشو بما اشتمل عليه من المطاعم ، وقد مثلوا للحشو المستظرف والمستملح بقوله :

وبحفر الدنيا احتفار مجرب
يرى كل ما فيها وحاشاه فانيا

وبقوله :

قل لابى القاسم ان جئته منبت فيما نلت هيئته
كل جمال فائق رائق انت (برغم البدر) او شئته

وقالوا ان حاشاه فى البيت الاول وبرغم البدر فى البيتين الاخيرين قد زادت الابيات رقعة ومنزلة مع انهما من الحشو ومثلوا للحشو المستملح بامثلة كثيرة من اشعار البلغاء والفصحا يطول بذكرها المقام . وكان صاحب بن عباد حين يتلى عليه قول من اجاب المأمون لما سئل عن بعض حاجته : لا وابداً الله الا بهذا ، هذا واد اشهى من فاوات الاصداغ فى خدود المرد

البلاغ . مع انها من الحشو.

وقد قسم البديعيون الحشو الى اقسام عديدة مستهجنة مستظرفة . وذكروا ان الحال قد تقتضي الحشو فيكون الاخلال به اخلالا بمقتضى الحال وهنا في ذلك البلاغة .

هذا ما يقوله ائمة البلاغة وفصحاء العرب فكيف يحكمون ان الحشو من نابات - ما افجها لفظة هنا - البلاغة، واني اية ادل على ان هذا لا ينبغي في البلاغة من حكم العرب لانه في درجة من البلاغة يجب لا تصل اليها ايدي الشر

هذا لو سلمنا ان ما بعد الصراط المستقيم حشو لكنه ليس كذلك فان القرآن انما نزل للدعوة الى توحيد الله و تنزيهه وللحث على فعل الخير والتحذير من الشر فلما قال : اهدنا الصراط المستقيم اقتضى ان يبينها تنويها اليها فقال صراط الذين انعمت عليهم ليعرف العباد ان نهج الحق هو نهج من انعم الله عليه فيتسابقوا الى سلوكه ، ولما شوق اليه حذر من طريق الباطل والضلال فقال : غير المغضوب عليهم ولا الضالين فبينا ان طريق الباطل هو طريق من غضب الله عليه وضل عن الجادة المستقيمة الواضحة السهلة ليحذرها

العباد ويجنبوها وفوق ذلك اشتمل هذا التوضيح على الاشعار بان مجاري الامور وتصاريفها بيد العليم القدير، من انعم عليه هُدى ومن غضب عليه ضل، فهذه الآيات كلها ناسبت لاحقتها مبنية على حكم وفوائد ضل عنها من حرم التلذذ بها كلام الله والاستضاءة بنوره .

ومن المضحك قولهم هنا : لو قال - اي صاحب القرآن - الحمد للرحمن رب الاكوان الملك الديان لك العبادة وبك المستعان اهدنا صراط الايمان ، لأوجز وجمع كل المعنى و تخلص من ضعف التأليف والحشو والخروج عن الروي كما بين الترجيم والتسجيع . انتهى هذيانهم .

ويجب ان نذكر شيئا موجزا من مزايا سورة الفاتحة وبعض ما اشتملت عليه من الحكم ودقائق الاسرار - لان ذكر كلها انها ربما لا تسعه افهام كثير من الناس وذكرها يصد اليه الفهم يستوعب مجلدا ضخما ويستدعي تطويلا لا يليق بهذا الموخر ثم نعقبه بذكر ما عارضوا به الفاتحة وما فيه من الهذيان . فاما بعض ما اشتملت عليه سورة الفاتحة من الاسرار فهو انها بدأت بالاستعانة باسم الله ولم تذكر الاستعانة بالله

تعظيما لشأنه ثم اضافت الاسم الى اللفظ الدال على الذات
مخصصا للاسم به وتبركا بذكره ثم عقبته بالصفة الخاصة وهي
الرحمن تجليلا لذاته وعقبتها بالصفة العامة وهي الرحيم
دفعا لوهم عدم شمول رحمته للعباد بصغائر الذنوب، وفي هذين
الوصفين حث للمبتدئ على التمسك به والاخلاص اليه لينالوا
من رحمته الواسعة وحسن ترتيب بتقديم الاسم الخاص ثم
الصفة الخاصة التي هي ابلغ في التجليل والتبجيل ثم الصفة
العامة التي وردت موردا التاكيد ودفع الاحتمال وانقطاع
الى الله بالابتداء بالاستعانة باسمه وتعظيم له حيث استعين
باسمه دون ذاته. ثم ذكرت الحمد وخصته بالله لمكان ال
في المسند اليه ثم ذكرت الصفة الاولى والثانية والثالثة
والرابعة وهي رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين
تبيانا للاسباب التي تستحق بها الذات الحمد وترتيب الصفات
على ذلك النسق البديع فقدمت الصفة الاولى لبيان ان
المحمود هو رب جميع المخلوقين ثم الثانية والثالثة لبيان ان رب
المخلوقين رحمانهم ورحيمهم فمنه الرحمة بهم وعليهم الاخلاص
والمحبة لخالقهم ثم الرابعة لبيان ان ذلك المحمود

هو المالك يوم الدين اى يوم القيمة والجزاء فالبه مصير خلقه وهو مالك جميع امورهم كما كان منه مبدءهم لانه دبهم فلا محيص لخلقه عن امره فى المبدء والمنتهى وبعد ذكر هذه الصفات الموجبة للحمد صارت دليلا على استحقاقه العبادة واختصاصها به فقدم الضمير فى اياك نعبد دلالة على اختصاص العبادة به ولما جمع هذه الصفات واختصت العبادة به لم يكن لخلقه مستعانا غيره فخصت الاستعانة به وقدم الضمير فى اياك نستعين دليلا على الاختصاص ولما كان ذكر العبادة والاستعانة بعد تلك الصفات فكأن تلك الصفات جعلت ذلك المحمود مشاهدا فنقل الكلام من الغيبة الى الحضور التفاتا للدلالة على ان الفكرة فى تلك الصفات تقرب العبد الى خالقه وتجعله كأنه مشاهد، وبعد ان ذكرت اختصاص الاستعانة بالله الذى ذكرت ما لكينونته لمبدء الانسان ومنتهاه ونبهت عليها ناسبان يطلب العبد سعادته من خالقه المحمود فجائت بطلب الهداية الى الصراط المستقيم مشوفة اليها بانها صراط من انعم الله عليه نحذوه من خلافها بانها سبيل من غضب الله عليه فضل،

هذا شئ من دقائق ما اشتملت عليه الفاتحة مما لا يهتدي
على جمعه وتنسيقه في هذه الجمل الوجيزة الا خالق السموات
والارض . فلننظر هل في ما ذكروه على سبيل المعارضة من
مزية ،

فهذه تلك الجملة التي ذكروها جميع ما في البسملة من المزايا
والفوائد ولم يذكر لفظ الجلالة فخرمت فائدتين واسقطت التفرج
بالصفة التي تشير الى انه مبدء وجود العباد فاهملت الرابطة
بينه وبينهم بكونه مبدء وجودهم الذي يوجب تعلقهم به و
اخلاصهم له ، واهملت الرحيم فتركت مجالا لاحتمال انه ليس بمبدئ
لصفاد النعم ، ولم تصرح بان المعاد والمرجع اليه لعدم ذكرها
مالكيته ليوم الدين ، ولم تذكر اخلاص الناطق له بالعبادة
واستعانته المتكلم به نفسه فانها قالت لك العبادة وبك المستعان
على وجه الاطلاق وحرمت فائدة الاختصاص فان تلك الجملة
لا تدل على اختصاص العبادة والاستعانة به كما يدل عليه
تقديم المفعول في اياك نعبد واياك نستعين وهذا امر ذكره
البيانيون وفرقوا بين تقديم المفعول وتقديم الخبر سيما اذا
كان ظرفا فان الاول صريح في الحصر والاختصاص بخلاف الثاني

على ان القياس وانت المستعان دون ولك
المستعان كما موبين من تصريحات اللغويين ، واهملت الوجه
المصحح للالتفات فى الضمير فان الوجه فى الفاتحة انما كان
ذكر الصفات العظام المشتملة على المبدء والمعاد والرحمة
التامة بالخلق والتقدير الكاملة بما لكيه يوم الدين
فصار كانه محسوس مشاهد فخوطب وهذه الجملة التى لفقوها
قد فقدت هذه الصفات فلا سوغ للالتفات ، ولم تشتمل
هذه الجملة على التشويق الى صراط الحق وبيان نعمته اد بها
على المهتدى والتحذير عن الباطل ببيان انها صراط المغضوب
عليهم ولا الضالين .

فانظر هذه الجملة قد فقدت جميع المزايا والحكم والاسرار
ولم تبق الا الفاظ فارغة واجسام هامدة لا روح فيها ولا روح
ولا مزية ولا حكمة فيما اذا تعارض سورة الفاتحة .

ومن هنا تعرف دقة اسرار القرآن وحكمته البالغة
حيث غير ادنى تغيير فقط هذا السقوط وفقد جميع المزايا فان هذه
الجملة التى لفقوها لم تكن ابتداء منهم وانما هى سورة الفاتحة
بالفاظها وسبكها قد غيرت بعض التغيير فلم تبق لها تلك

المزايا فما ظنك بهؤلاء المتحدين لو كانوا انشأوا المعارضة القرآن كلاما ابتدؤه من انفسهم غير مجارين سبك القرآن ولا مستعملين لالفاظه ومتراكيبه ؟ فاى درك كان من دركات السقوط ؟ وهذا اول دليل على ان القرآن قد دوعى فيه جميع الجهات التى يسمو بها الكلام ويمتاز فيها عن كلام البشر ودوعيت فيه جميع الدقائق بحيث يضر اسقاط لفظ فيه اووضع لفظ فيه اوتغيير حرف واحد فيه وهذا لا يتشنى للبشر الذين هم معرض الغفلة والنسيان والذهول فلا بد ان يكون من كلام الله الذى يجل عن الغفلة والنسيان .

ويجدر الاشارة هنا الى امرين ، وهو ان معارضته القرآن فى البلاغة امر مستحيل بذاته فى غير الزمان الذى نزل فيه القرآن ، ولا اقصد بذلك ان المعارضة ممكنة فى زمن النزول بل اقول ان التمييز بين القرآن وبين كلام عورض به فى غير زمن النزول امر مستحيل وانما يمكن التمييز بينه وبين كلام

عورض به فى زمن نزوله وقد حكم البلغاء بمقتضى فطرتهم وطبيعتهم بان البشر عاجزون عن الاتيان بمثله ، وانما تستحيل المعارضة على الوجه الذى بيناه لما هو بين من ان البلاغة عبارة عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال فاذا اريد تمييز الكلام

المبلغ عن غيره فلا تبدان ننظر الحال التي ورد فيها الكلام
بجميع خصوصياتها وننظر الى الكلام فان وجد مطابقا لتلك
الخصوصيات عد بليغا والا فلا . فتبين بلاغة القرآن منحصر
بمراعاة خصوصيات الاحوال التي نزل فيها ولا يستثنى ذلك
الا الاهل ذلك العصر الذين شاهدوا تلك الاحوال فهم المرجع
في هذا الحكم وقد نقل بالتواتر القطعي حكمهم بعجز البشر عن مباراته .
اما غير اهل ذلك العصر فلا سبيل لهم الى هذا الحكم لانه يقتضي
نقل تلك الاحوال بخصوصياتها ودقائقها وهو مستحيل فاذا
تصدى احد لمعارضته القرآن في هذا العصر فقد تصدى الى
امر محال لان شرط المعارضة لا يتم الا بنقل خصوصيات تلك
الحال الينا لنقف عليها ومن البديهي استحالته ، وان تكون
الحال التي نتكلم بها المعارض والغاية التي نتكلم من اجلها عين
الحال التي تكلم بها القرآن من جميع الجهات ونفس الغاية التي
دعته الى التكلم وهذا مستحيل بنفسه ولا سيما اذا كانت غاية
المعارض هي المعارضة فانها تختلف قهرا مع غاية القرآن التي
هي الارشاد الى اوامر الله ونواهيه والدلالة على فعل الخير
والتحذير عن الشرور وغير ذلك ، فقد تبين ان معارضته

القرآن بفنها فى هذا العصر امر مستحيل ومن تصدى لها كان
هاذيًا لاغيًا اذ يقال له اعد خصوصيات الاحوال التى
نزل بها القرآن ولكن غايتك من الكلام عين غايته لتصدى
الى التمييز بين الكلامين ، والا فالتصدى الى التمييز بينهما
من العبث لفقد شرط التمييز وهو اتحاد الحال والغاية .

- وهذا بود كيد كل من يتصدى لمعارضته القرآن فى
هذا العصر وبكم فوه فض الله فاه !

فقد اتضح لك ان معارضته مثل الفانحة فى هذا العصر
امر مستحيل وان الكلام الذى عورضت به ساقط كل السقوط
وانها مشتملة على دقائق لا يمكن ان يراعيها الا علام الغيوب
بحيث تخرج عن البلاغة اذا حدث فيها ادنى تغيير ، فاذا
عرفت ذلك يتجلى لك شدة الوقاحة والصلف لدى هؤلاء
المعتوهين فى قولهم : لا ضير - اذ علمت انه ايجاز مخل -
وجمع كل المعنى - حيث عرفت ان كلامهم فاقد لكل المعنى -
وتخلص من ضعف التاليف - لما تبين انه لا ضعف فى التاليف
- والحشو - وقد علمت انه ناشئ لا حشو فيه وان من الحشو
ما يزيد الكلام بلاغة وبلاغة - والخروج عن الوزن كما بين

الرحيم ونستعين - لما علمت من ان القرآن ليس بشعر ولا بسجع ولا خطب ولا رسائل فلم يبن على وزن خاص ولم تراع فيه قافية لانه فصل برأسه مستقل بنفسه عن جميع تلك الانواع من الكلام .

وعاشرا قولهم : ومن مزيلات البلاغة عدم المناسبة بين الايات وخفاء معانيها فراها في اكثر السور منقطعا بعضها عن بعض اجنبيا عنه - وقد استشهدوا لذلك ببعض سوره العلق وقالوا بعد ذلك - فانظر بقطع هذه الايات وأين لنا معناها بمقتضى نظمها بلا تفكر وتروية بالفصل ان استطعت او قل خلاصة معنى السورة مع المناسبة لتفهم ما فيها من الاعجاز العظيم والبلاغة التي فوق طاقة الملائكة والناس .

هذا قولهم وهو دوس للحق واقدام على الباطل وتغرير وتمويه وتوغل في الجهل ، لان المناسبة بين الجمل في الكلام وظهور معانيها موقوف على امرين : الاول وحدة الكلام وذلك بوحدة المقصد والمعنى وزمن الكلام فلو تكلم انسان بكلامين ذوي معنيين لمقصدين في زمنين مختلفين وجمع هذان الكلامان ولم توجد بينهما مناسبة فليس ذلك بعيب في الكلام ولو طلب احد

المناسبة بين كلام [illegible] اليوم وكلام آخر لمقصد آخر تكلم
به قبل ايام لكان اصح جوابه الهزؤ والحكم بنقص عقله . التأني
الوقوف على القرائن الحالية او المقالية فانها مبينة للكلام
فلو مدحت مؤلفا على تاليف كتاب وقال لك مخاطبك لقد ابدع
لم يكن لك ان تعد كلامه ناقصا بتجريد ذكر الفعل مجردا عن الفاعل
لان قرينة المقال دالة على ان فاعلا ابدع هو المؤلف وكذلك
لو رايت رجلا مقبلا فاشرت اليه قائلا يمشي الهوينى لم يكن
لمخاطبك ان يرمي كلامك بالنقصان بتجريده عن الفاعل
لان قرينة الحال دالة على ان فاعلا يمشي هو الرجل المقبل .
وقد ذكر ذلك النحاة واوضحوا لزوم التقدير في الكلام حتى
عد من الامثال السائرة قولهم : لولا التقادير لعرفت النحو
الجمهر . وهذا عند اولئك الجمهر ان اعترضوا على التقادير
ولم يفهموها وادعوا عدم المناسبة بين الآيات .

والآفان المناسبة بين الآيات اوضح واجلى من ان تخفى
على من له ادنى فكر ورويه وان اعتمد على القرائن الحالية او المقالية
فليس ذلك مما يوجب طعنا على القرآن - الا عند من لا ادراك
له ولا علم — وقد جرت طريقة البلغاء والفصحاء على ذلك

فاذا اريد معرفة معنى اية فلا محيص من النظر الى اسباب نزولها وزمنه وما حفت به من القرائن لتتم شرائط فهم الكلام فنعلم ما حذف اعتمادا على قرينته وربما وجب حذف بعض الكلام كحذف الخبر والفاعل وغيرهما فى موضع يجب الحذف فيه بحيث لو ذكر لكان مخلا بالبلاغة او معيبا عند اهل اللغة كما نبه عليه علماء النحو والبلاغة .

ومن الجمل الفاضح ان يتطلب الارتباط بين جميع الايات فان الكلام ليس بكلام واحد ولم ينزل فى زمن واحد بل كلام متعدد نزلت كل اية منه فى غير زمن نزول الاية الاخرى لمقصد لم يقصد من سواها . ولا يلزم ان ترتبط الاية التى نزلت بمكة مثلا واعنى الى التوحيد مع الاية التى نزلت فى المدينة لتحريم الخمر او الزنى وربما يكون بينهما اكثر من عشر سنين من الزمان . فطلب الارتباط بينهما طلب امر باطل لم يجر على طريقة العقلاء فى المحاورات . وكان هؤلاء الحمقاء فرضوا القرآن كتابا مؤلفا لغرض واحد على حد سائر الكتب المؤلفة لمقصد واحد ولم يعلموا انه مجموعة ايات بينات نزلت لمقاصد مختلفة مما فيه خير الانسان ثم جمعها الناس بعد ذلك كما يجمع كتب الحكم

والامثال ، فمثل بعذ ذا القائل اذا نظر الى مجموعة امثال وحكم فطلب المناسبة والارتباط بين كل مثل وبين الاخر وبين كل حكمة والحكمة الاخرى .

على انا لا يجب ان نطيل الكلام في هذا المقام بل يجب ان نرجع الى اهل اللسان الذين نزل القرآن بلغتهم وفي زمانهم فاننا بانه فوق كلام المخلوقين فهل يحتمل ان القرآن كان غاية المناسبة غير مرتبط بعضه ببعض وخفي ذلك على جميع البلغاء سنين طوالا ولم ينتبه له الا هولاء الفسل البله والمستأجرون لترويج الباطل بثمن بخس .

بقي الكلام في ما استشهدوا به وزعموا عدم وجود المناسبة بين اياته وهو بعض سورة العلق ، ولعمري ان هذا الاستشهاد ليكشف عن ان هؤلاء الحمقاء لم يهتدوا في هذا الامر شيئ ، وما اشبه هذا بان من يستدل بضياء الشمس على وجود الليل فان السورة المزبورة قد اشتملت على ما يحير العقول من حسن البيان وبديع المناسبة وبين الارتباط الذي يجعل الانسان معتقدا بان ذلك لا يصدر الا به افكار البشر ومع ذلك يجعله هؤلاء السفهاء دليلا على عدم المناسبة

والارتباط ، فلنورد السورة المباركة وبعدها نشرح معناها
لينكشف وجوهها المطوية .

والبك السورة المباركة :

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك الذي خلق الانسان من علق
اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم
يعلم كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ان الى ربك
الرجعى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى أرأيت ان
كان على الهدى او امر بالتقوى أرأيت ان كذب وتولى
ألم يعلم بأن الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية
ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية
كلا لا تطعه واسجد واقترب

اما معناها فلا بد من ذكر النزول قبل التعرض للمعنى لما
عرفت من ان معرفة المعنى موقوف عليه ، وسبب نزول هذه السورة
هو ان ابا جهل قال لقومه هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم
اى هل يسجد - قالوا نعم قال فوالذي يحلف به لئن رأيته يفعل
ذلك لأطأن عنقه فجاء ، ثم نكص على عقبيه ينفي بيديه

فقالوا ما لك يا ابا الحكم فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار و هولا واجنحة فقال النبي صلى الله عليه واله والذي نفسي بيده لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا فانزلت ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى . وعن ابن عباس ان ابا جهل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يصلي فقال له الم انهك فانتهره رسول الله صلى الله عليه واله فقال اتنهرني يا محمد وانا اكثر اهل الوادي ناديا فانزلت فليدع ناديه سندع الزبانية .

واذا عرفت مورد نزول هذه الايات فيجب ان نعلم هل نزلت هذه السورة مرة واحدة فتكون كلاما واحدا ويجب وجود المناسبة حينئذ بين جميع آيها ، او ان بعضها نزل في غير الوقت الذي نزل فيه البعض الاخر فتكون كلامين ولا يجب وجود المناسبة حينئذ الا فيما اتحد نزوله . واعلم ان المفسرين ذكروا ان الايات الخمس هي اول ما نزل من القرآن وبعد ذلك نزل باقي السورة في قصة ابي جهل المذكورة لكن المرجح ان السورة نزلت دفعة واحدة وان اول ما نزل من القرآن كان في قصة ابي جهل المذكورة ويؤيد ذلك ارتباط جميع اياتها بعضها ببعض .

ويجب ان نعلم ان القرآن الكريم وان نزل كثير من اياته

فى موارد خاصة الا ان النظر العام لم يغض فيه وذلك ان المقصد الاسمى من نزول القرآن هو الهداية الى توحيد الله و الارشاد الى ما فيه صلاح العباد والامر به ، والتنبيه على ما فيه فساد هم والنهى عنه . فاذا نزلت آية فى مورد خاص فلا بد ان تكون جارية مجرى القاعدة الكلية والحكم العام لتكون انموذجا عاما ومنهجا مستقيما يسير عليه من هداه الله ، ولذلك قال العلماء ان خصوص المورد لا يخصص العام .

اذا تمت لك هذه المقدمات فاعلم ان المراد من التوجه المبارك هو الحث على ذكر الله وعبادته ليكون ذلك باعثا على التجرد عما عن الشرع والمبالغة فى الحث انما تتم بامرين الاول اظهار كمال قدرة الله تعالى والثانى اظهار كمال عجز الانسان ليكون العاجز مقهورا على اطاعة القادر عاجزا عن مخالفته ، والسورة تضمنت بيان هذين الامرين باحسن بيان وابدع عبارة فانها تطرقت اسالیب مختلفة ودوعا عجيبا وحثا بديعا بطرق متعددة يعجز عن احصائها فى هذا الايجاز البشر

فانه امر بالقراءة فقال : اقرأ ثم ذكر اسم الرب بقوله باسم ربك تعظيما له عن ذكره باسمه وبيانا لان الاستعانة

لابدان نكون به جل ثنائه ثم ذكر كمال قدرته بقوله - الذى خلق - على الاطلاق اى خلق كل مخلوق فيكون ذلك دليلا على استحقاقه العبادة والطاعة . وخص الانسان بالذكر بقوله خلق الانسان من علق تنبيها على النهاية فى القدرة لان خلق الانسان اعجب من كل مخلوق مشاهد وهو يستدعى قدرة لا يستدعيها غيره من المخلوقات وفى ذلك دلالة على شرف الانسان من حيث الخلقة لاختصاصه بالذكر من بين سائر المخلوقات فهو احد برهانى بطبع الله وبعبده . وفيها تصريح بعجز الانسان ببيان قاطع وبرهان صريح حيث انه خلق من علق فهو مثال الحقارة والعجز لا موجب لطغيانه ومخالفته .

وبعد ان ذكر كمال قدرته الله ونهايته عجز الانسان لينبه الى طاعة الامر بالقراءة وذكر الدليل على القدرة والعجز - كرره عين ما ذكره اولا باسلوب اخر فقال - اقرأ - تاكيد للاول وبيانا لوجود المقتضى وفقدان المانع فكانه قال واذ عرفت ان الله هو القادر وانك انت العاجز فاقرأ اذ لا محيص لك عن القراءة . وربك الاكرم - اى اكرم من كل كريم لانه انعم على عباده بجلائل النعم وانه هو - الذى علم - البيان

والكتابة - بالقلم - وذلك كمال القدرة والكرم وانه هو الذي
- علم الانسان ما لم يعلم - من العلم والكمال وما يحتاجه الانسان
في معاشه ونظام اموره ومعاده وهذا تفضل على الانسان خاص
وبيان لكمال عجز الانسان مع انه بيان لكمال قدرة الله فلا
يستطيع الانسان مخالفته ولا محيص له عن اطاعته .

ثم ردع الانسان عما عسى ان يخطر بباله من المعصية بقوله
- كلا - بعد ان ذكر اسباب الردع وموجباته من قدرة الله
وعجز الانسان .

ثم ذكر ما جبلت عليه طبيعة الانسان من الطغيان بقوله -
ان الانسان ليطغى ان راه استغنى - اى راى نفسه مستغنيا
ثم بين له ما يوجب ردعه عن الطغيان بقوله - ان الى ربك الرجعى
- فاذا كان مرجع الانسان الى ربه ولا محيص له عنه فهو على
كمال العجز والله له كمال القدرة اذ مرجع الانسان اليه وحينئذ
فلا يستطيع الانسان مخالفته والاصرار على الطغيان . وهذا
بيان شاف بسبك عجيب لعجز الانسان وكمال قدرة الله تعالى
وفيه الحث الحثيث على الطاعة والكف عن المعصية ببيان يعجز
عنه المخاوفون .

ثم نظرف الى ذكر القضية الخاصة وهي قصة ابي جهل
ولكن بوجه عام وسبك عجيب اذ جعلها كالشاهد على جميع
ما مر لتكون قضية عامة وارشاداً لجميع المخلوقين فقال —
اَرَاَيْتَ الَّذِي يَنْهٰى عَبْدًا اِذَا صَلّٰى اَرَاَيْتَ اِنْ كَانَ عَلَى الْهُدٰى
اَوْ اَمَرَ بِالتَّقْوٰى اَرَاَيْتَ اِنْ كَذَّبَ وَتَوَلّٰى اَلَمْ يَعْلَمْ بِاَنَّ اللّٰهَ يَرٰى
— اى ارايت الذى ينهى عبداً اذا صلى ان كان ذلك العبد
على الهدى اوامراً بالتقوى اوكان مكذباً ومتولياً الم يعلم
بان الله يرى جميع اعماله ويحاسبه عليها ، فجملة كان على الهدى
او امر بالتقوى فعل الشرط وجملة كذب فعل للشرط الثانى
وجوابهما الم يعلم بان الله يرى لان الشرط الثانى بمنزلة التاكيد
لشرط الاول والجملة الشرطية كلها بمنزلة المفعول الثانى لرايت
الاولى ومفعولها الاول الذى ينهى . وفى هذا من بديع
البيان ما يبهر العقول فانه ذكر الاستفهام اولاً للتقرير والتوبيخ
وجعله كالشاهد لما مر وفيه شدة التنبيه على الرؤية
ثم ذكر المفعول الاول هو الناهى الذى هو من جنس الانسان
الذى مر عجزه ثم ذكر المنهى وهو العبد الذى اطاع ذلك
القادر الذى مر بيان كمال قدرته ففيه كمال التفريع

لابي جهل على طغيانه لانه عمل على خلاف البرهان الذي
ذكره من وجوب الطاعة وكمال المدح لمحمد صلى الله عليه وآله
لانه جرى على مقتضى ذلك البرهان ، وشدة التنبيه للعبا
ان يعملوا كما عمل النبي وينهوا عن امثال عمل ابي جهل ، ثم كرر
الاستفهام عن المرة بعد المرة لعظم الفائدة المتقدمة الذكر اعظاما
لقصته ابي جهل وتحذيرا عن الوقوع في مثل هلكته وكرر
ادوات مثل المفعول الثاني وهو الجملة الشرطية اشعارا بان
هذه القصة لعظمها مما تستوجب التفريع والتوبيخ في جميع اطرافها
ثم ذكر اداة الشرط وفعلها وهي المفعول الثاني ولما كان فعل
الشرط مرددا بين ثلاثة امور اثنان منها من سنخ واحد وهما
الاهتداء والامر بالتقوى وواحد من سنخ اخر وهو التكذيب
والتولي - ذكر الامرين الاولين فعلا للشرط وردد بينهما بأ
لانهما غير متلازمين لان معنى على الامكان يكون الانسان
مهتديا بنفسه ومعنى الامر بالتقوى ان يكون الانسان هاديا لغيره
وذكر الامر الثالث بعد ان اعاد قبله ما كان قبل فعل الشرط
وهو ادوات وان ، اشعارا بان هذا الامر مستقل عن ما تقدمه
وغير عاد عين تلك الفائدة والتشديد في اعظام تلك الواقعة

وذكر جواب الشرط على سبيل الاستفهام الانكاري تنبيها على تحقق العلم بان الله يرى نفر بعا لابي جهل في فعله مع علمه بان الله يرى واطلق الرؤية للدلالة على انه يرى كل شئ لان حذف المتعلق يدل العموم والرؤية وحدها لا تكفي لردع الانسان عن الطغيان ما لم يتبعها الحساب فهو المقصود من الرؤية كما تقول : لا تفعل هذا فان الامير يراك ومرادك انه يراك ويعاقبك وفي هذه الاية بيان اخر لعجز الانسان المقتضي لان يطيع و لكمال قدرة الرحمن الذي يقتضي ان يطاع فان الله ان كان يرى اعمال الانسان ويحاسبه عليها فالله هو القادر والانسان هو العاجز وهل يصح للعاجز ان يخالف امر القادر .

وبعد ان ذكر عجز الانسان وكمال قدرة الرحمن بطرق مختلفة واولة متعددة وذكر القضية الخاصة نحو خام عقب ذلك بردع ابي جهل عن عمله بقوله - كلا - ردع وزجر لابي جهل ولما لم يكن نظره مقصورا على ابي جهل ذكر الردع بوجه عام ليشمل جميع العباد الذين يطرقون المعاصي وفي هذا الردع من الفائدة ما ليس في الردع الاول فان الاول كان ردعا خاصا من غير نظر الى القضية الخاصة والثاني ردع عام

وفيه نظر الى خصوص ابي جهل .

وبعد ان ذكر ردع الانسان بين ما يعقبه ان لم يرتدع ناظرا الى كمال قدرته الله وعجز الانسان الذي يبهه بابلغ واوجز بيان فقال - لئن لم ينته - الناهي عن فعله وهو القادر ولنا كمال القدرة عليه - لنسفعن بالناصية ناصيته كاذبة خاطئة - اي لناخذن بناصيته ونجرنه بها الى النار اذ السفع هو القبض على الشيء والجذب به بشدة وعنف . وذكر الناصية باللام دون الاضافة ليكون صورته صورة العام فيدل على انه ناظر الى العموم في ضمن القضية الخاصة وان كانت اللام للعهد وافادة النظر فيه مقصور على ناصية ابي جهل . وفي هذا كمال قدرة الله على الانسان العاجز .

وبعد هذا ذكر السبب الذي استحق به غريم المنهى هذا العقاب فابدل من الناصية وقال - ناصية كاذبة خاطئة - فالكذب والخطأ هما السبب في عقابه وانما اسندهما الى الناصية مع ان الكاذب والخاطئ صاحبها لان السفع كان بها وهو على الاسناد المجازي وفيه من الجزالة وحسن السبك والبلاغة ما لا يخفى وكذلك ناصية كاذب خاطئ .

وبعد ذكر عقاب مقترف السيئات وفدوه الله على ذلك والسبب الذى من اجله غاب نصدى لرفع استناد ابى جهل وتمنعه بقومه حيث قال: انهرنى وانا اكثر اهل الوادى نادبا اى اهل ناد على الاسناد المجازى كما قال زهير.

وفيهم مقامات حسان وجوههم واندية ينتابها القول والفعل اى اهل مقامات لان المقامة هى المجلس. فقال - فليدع ناديه سندع الزبانية - امر ابدعوه اهل ناديه تعجيزا له وهكذا هما من اغراض الامر ومنبها بان ما استند اليه لا يصلح للمنعه لانه عاجز امام الزبانية اى الشرط والمراد بهم الملائكة الموكلون بالنار الذين بامرهم الله سبحانه بتعذيب العاصين. وهذا البيان وان كان فى قصة ابى جهل الا ان النظر فيه عام كما هو المستفاد من سياق جميع التون والمراد انه لا وزر ولا منعة من الله لكل خاص ومقترف للسيئات

وبعد ان ذكر ان لا منعة للعاصى من الله نصدى لمدع ابى جهل بوجه عام فقال - كلا - فكانه قال لم يبق ما يقتضى المعصية ويمنع من الطاعة بل المقتضى للمعصية موجود والمانع مفقود فليدع العاصى.

ثم قال - لا تطعه واسجد واقترب - نهيًا لنبيه عن اطاعة
ابي جهل والمداوم على التجود لله والاقتراب من رحمته. وتعليمًا
لجميع الناس ان لا يطيعوا العاصين ويداوموا على العبادة لله
لانه موالفادر المغالب للعاصي العاجز اذا عصاه. وفيه من
التشويق الى العبادة باتها اقتراب من الله بعد التحذير عن المعصية
بما ترتب من العقاب ما لا يخفى على الفطن اللبيب

هذا بعض ما يصل اليه الفهم مما في هذه السورة المباركة
من الحكم والنكات والاسرار الكلامية وانه لشاهد بحير الالباب
يذهل العقول ويدفع الانسان الى الاعتقاد الجازم بان هذه
الاحاطة والشمول للمذاهب الكلامية مما لا تسع اذهان البشر
ادراكه. ولو اردنا شرح جميع ما يصل اليه الذهن من اسرار
هذه السورة لاستوعبت مجلدًا ضخمًا لا ينبغي سطره في هذا
المختصر. ولبقي مع ذلك كثير مما لا ندركه افهامنا لانه يبتدع
اغاذه الحال التي نزلت فيها هذه السورة بينها وهو محال.
ومع ذلك كله نرى هؤلاء المعاندين يزعمون ان السورة
غير متناسبة الاجزاء ولا مرتبط بعضها ببعض وللوصول الى غايتهم
الخبيثة هو هو نعوتها عجبًا فانهم ذكروا فعل الشرط وهو ان

كان على الهدى ولم يذكروا الجواب وهو الم يعلم بان الله يرى
ومن البديهي عدم تمامية الكلام اذا ذكر فعل الشرط بلا جزاء
ولكن لا ادري ما الذي سوغ لهؤلاء الموهمين ارتكاب هذا
التمويه وفي اي خيال تاهوا ؟ هل خيل لهم مخيلتهم ان القرآن
امر مخفي يستطيعون ان يحرفوا فيه هذا التحريف او انهم عشقوا
الكذب على القرآن وبغيره وان ظهر ذلك ؟ اللهم ان امر
هذه الطائفة الضالة لمريب . فاكفنا شرها انك واهله .

نقد الفصل الثانى

وهو يختص فى امور

١ - قولهم زعم بعض علماء المسلمين ان اعجاز القران صرف الله الناس عن الاتيان بمثله مع قدرتهم عليه . قلنا ليس الامر كذلك بل انى ذلك كثيرون ولكنهم احرفوا الوالهم الخ

هذا قولهم وهو نكرار لما سبق وقد بينا هناك ان اقوالهم اذا احرفت وتلفت فكيف علم انها مثل القران ؟

واوضحنا ان معارضته القران امر مستحيل لانه يقتضى اتحاد الحال ليعلم اى المعارضين مطابق لها واتحاد الغاية ليعلم اى الكلامين اوفق بها . ولا يمكن ذلك الا للعرب الذين نزل القران فى زمانهم وقد حكموا جميعهم بان معارضته امر خارج عن طوق البشر وحكمهم المدار فى الاعجاز سواء كان للصرف او لغيره فان هذا اختلاف فى سبب عجز البشر والعجز انما هو نفس العجز لا سببه . ولكن هؤلاء الاغبياء لا يشعرون فوقعوا فى هذا الخبط واعادوا هذيانهم الاول ناهيك ان هذا حجة ثابتة .

ومن غريب امرهم انهم اوردوا سوره من القران غير منها

بعض الكلمات فزعموا انها مثل القرآن وذلك قول من قال : انا اعطيناك الجواهر فصل لربك وجاهر ولا تعتمد قول ساحر وهذه هي سورة الكوثر غير فيها الكوثر بالجواهر واخر بجاهر وذكر لا تتبع قول ساحر مستقلا ومع انها عين سورة الكوثر قد مسدت هذا التغيير البسير وكان الاسهب ان يقول وناجر بدل وجاهر لان الجواهر انما تناسب التجارة . ومع ذلك فان هذا الكلام يشبه الهذيان اذ لا فائدة معتبرة للمتكلم به فليست له حال لبعلم هل طابقها اولا فما هو الا لغو .

مضافا الى ذهاب جميع النكات التي مر ذكرها في سورة الكوثر من هذا الكلام . وفي قوله ولا تعتمد قول ساحر ما لا يخفى من ركاكة العبارة وغلط التركيب سيما تنكير ساحر واستعمال لا تعتمد في هذا المقام فانه غلط صريح .

ويفساد السورة بذلك التغيير البسير وهذا انها لجميع المزايا التي كانت مشتملة عليها يمكنك ان تستدل بان القرآن قد روعي فيه جميع المقتضيات ولم يترك منها شيء ولذلك يختل بادنى تغيير وهذا مما يدل على انه من كلام الله تعالى حيث يستحيل الاطلاع على هذه الدقائق وهذه الاحاطة لغير علام الغيوب

وبما ذكرنا يعرف جميع ما ذكروه في القول الاول تجاه الذي زعموا انه معارض للقرآن وهو من قسم الهذيان الذي يخرج منه الاطفال والمجانين الا من اعياه التعصب واضله ، فاخذ يمدح تلك الجمل الساقطة بعبارات ركيكة والفاظ لا معنى لها فبعدًا للمادح والممدوح .

٢- زعمهم ان القرآن من نوع السجع فاوردوا عليه بانه مشتمل على الابطاء - وهو تكرير القافية - وعدم تناسب الفواصل كما في سورة تبت لقوله في حبل من مسد مع ان القافية قبله الباء وهو متمكن من ان يقول من سلب والسلب والمسد معناهما واحد وهو الحبل المفتل الخ

وهذا الزعم يبطله ما علم من ان القرآن ليس بشعر ولا سجع فلم يبن على قافية ولا وزن ولم تلحظ احكامها ، كيف والقرآن قد ذم الشعر بقوله ، وما علمناه الشعر وما ينبغي له وبقوله: والشعراء يتبعهم الغاوون ، والنبي صلى الله عليه وآله ذم السجع حيث قال للذين قالوا له في شأن الجنين كيف ندي من لا اكل ولا شرب ولا صاح فاستهل اليس دمه قد بطل: اسجعا كسجاع الجاهليين . وقيل قال : اسجعا كسجع الكهان ، فاذا

كان القرآن والنبي قد ذما الشعر والتجنب منهما إلى الخروج عنه اولى . ولو ان العرب علمت بان القرآن سجع وهو مشتمل على الابطاء وعدم تناسب الفواصل وما هو مومأن عندهم لذمت ذلك وذكرته عيبا على القرآن فحيث لم يعدوا ذلك عيبا وعرفوا بان القرآن خارج عن طوق البشر فلا بد اما ان يكون القرآن سجعا او ان الابطاء وعدم التناسب في الفواصل غير معيبين ، والعرب هم المرجع في كل ما يعود الى اللغة .

وهؤلاء المومنون استعربوا اما قالوه بعد ان اوغلوا في الطعن على القرآن فقالوا في هذا الفصل : ومن اعجب ما علم ان قرشيا بليغا - اراد النبي صلى الله عليه وآله - شغل تاليف كتاب صغير اكثر من عشرين سنة ولم يحكمه احسن احكام - هذا قولهم ونحن نضيف اليه ان العرب جميعهم راوا هذا الكتاب وحكم له الجميع بانه خارج عن طوق البشر ، فهل من العدل ان يحكم على ذلك القرشي الذي ادعى الاعجاز في ذلك الكتاب وعلى هؤلاء البلغاء الذين صدقوه في دعواه ، بالخطاء وهم فصحاء العرب ويحكم لهؤلاء المتهوسين بالتفحم : سبحانك اللهم ان هذا الاحكم جائر يدل على تعصب الحاكم به وجهله .

ويضاف الى ذلك ان ائمة البلاغة من علماء المسلمين حكموا
جميعهم باعجاز القرآن مع انهم مصدر علم البلاغة وائمة البيان
ولديهم فصل الخطاب فهل يمكن ان نقول ان جميعهم لم يدركوا
شيئا مما ادركه هؤلاء الاغبياء ؟ ولقد قالوا في هذا
الفصل : ان الوقوف على بلغاء المسلمين الفواصل وحكمهم تنصو
على القرآن فصاحة وبلاغة ونظما هذا ما قالوه واذا كان
حقا فلماذا احكم اولئك البلغاء جميعهم بانهم عاجزون عن مباراة
القرآن مع ان الانسان مجبول بداعي الفطرة الى تفضيله
لنفسه . لا شك انهم بلغوا الحد الاقصى مما يمكن ان يبلغه البشر
في البلاغة وعلموا ان القرآن فوق قدرة البشر فاعترفوا بالعجز عنه .

٣ - قولهم : راى بعضهم ان اعجاز القرآن ما فيه من انباء الماضي
مع ان الذي اوحى اليه امي لا يعرف القراءة .

هذا قولهم وهو افتراء محض على المسلمين لم يوجد له اثر في
كتبهم ، وغاية ما يوجد في كتب المسلمين ما ذكره بعض العلماء
من ان القرآن اشتمل على معاجز كثيرة مضافا الى اعجازه في البلاغة
والفصاحة ، ومن جملة معاجزه الاخبار بالغيب عن الماضي والمستقبل
فالماضي كبعض قصص الانبياء والامم التي لا وجود لها في كتب الامم

السابقة ولم يلتفتها الاعراب . والمستقبل كاخباره بكثير من الحوادث التي وقعت بعد نزول القرآن كقوله تعالى :

غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ وكقوله : إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ وكقوله : قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . وغير ذلك مما ذكره القرآن قبل وقوعه فوقع مطابقاً لما اخبر به .

ولم يدع احد من المسلمين ان الاخبار بالغيب معجزة القرآن الوحيدة بل ذكروها مضافة الى معجزة الفصاحة ، ولست ادري ما الذي حمل هؤلاء الشاطحين ان يفتروا على المسلمين هذا الافتراء القبيح ؟ ويبدلوا الاخبار بالغيب بالاخبار عن انباء الماضي .

ولو فرض وجود من يدعي هذه الدعوى فدعواه عليه لا يصح ان يسئل عنها غيره . ونحن نردها كل الرد من اي مدع صدرت ، وسنبين ان المعجزة هي الفصاحة والبلاغة وان وجد معها بعض المعاجز الاخر

وبما اوضحنا تعرف جميع ما ذكرناه بعد هذا من الايرادات على هذا الرأي فانها لا ترد على من لم يقل به والمسلمون لم

يقولوا به . ولكن هناك بعض الهنات والافتراء ان لابد من التنبيه عليها .

فمنها قولهم : ان النبي كان يخالط علماء اليهود ثم والنصارى ويباعدوه (كذا) ويضرونه في اول امره .

وهذا بهتان عظيم فان النبي صلى الله عليه واله نبي تعالم الاسلام على حمايته الضعفاء ومشاركة الفقراء للاغنياء في اموالهم والتواضع والمساواة بين الضعيف والقوي والفقير والغني والملك والسوقة وكان يؤنب اليهود والنصارى لتعظيمهم الاحبار والرهبان واتخاذهم فوق قدرهم والتذلل لهم ، ويجد ذلك صريحاً في القرآن واحاديث النبي صلى الله عليه وآله ، كقوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ، وكقوله تعالى ولا يتخذ بعضكم بعضا اربابا وكقوله تعالى : قل انما انا بشر مثلكم . وكقوله عليه السلام لا تتخذوا قبري مسجدا فوالله ما هلك من كان قبلكم من الامم الا باتخاذهم قبور انبيائهم قبلة . وغير ذلك من الايات والاحاديث التي تنفي محبة اليهود وجبروت القضاة وكبرياء المتسببين واستئثارهم بالحكم و استعباد البشر واختصاصهم حتى بالجنة فيهبونها لمن شاءوا

ومنعونها عمن شاؤا وغير ذلك من العادات المضرة بالنوع الانسانى والمنافية لروح الاسلام . فمتى خالط النبتى اليهود او النصارى ؟ ومن داعى تعاليم الاسلام منبه من اذلها الى اخرها ورأى انها منشبعة بروح العدل والمساواة افمن جزما بانها لم تتفق فى اى وقت من اوقاتها مع النصرانية واليهودية المبنيين على الاثرة والتسلط والقهر والغلبة والكبرياء الذى ينزل المتبوعين منزلة الالهة والمعبودين . نعم ان بعض احبار اليهود وعلمائهم لما نظروا الى معجزات النبى صلى الله عليه وآله وتعاليمه الحقة وكانوا مبشرين بظهوره فى التوراة امنوا وصدقوا به واتبعوه حبا للحق وتخلصا لانفسهم من عذاب النار ودعوا مؤمنين الى ان ماتوا .

ومنها قولهم : ولما فوتت شوكته - اى النبى - كفر الفرنجيون - اى اليهود والنصارى .

من الغريب هذا القول فان من خصائص دين الاسلام انه صدق جميع الاديان التى قبله وامن بها فقال القرآن الشريف : قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وما اوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم

ونحن له مسلمون . والنبيون لفظ عام شامل لجميع الانبيا
بلا استثناء فمن نبي الا وصدقه الاسلام ، نعم انكر الملحدين
والكفار والوثنيين خرافاتهم ونسخ من احكام الانبياء السالفة
ما لا يوافق مصلحة عصره وما بعده من الاعصار وأتى باحكام
لم تكن في اديان الانبياء السالفة وقد نبى عليها صلاح البشر
وسعادتهم ، فان كان هذا تكفيرا فنعما هو . وان كان المراد
من التكفير انتقاد اليهود والنصارى بتحريف النواة والاخبل
وتبديل احكام الله على حسب ما تشتهيه انفسهم وبهوتهم اليه
هواهم مما اضر بالخليقة وبدل الصلاح فسادا ، فالبشر كلهم
مدينون بالفضل والمنة لهذا التكفير .

ولما رأى سنت كلاير تدل بعض الموافقة في بعض الاحكام
بين الاسلام والاديان السالفة كتب كتابه ليوبر الافهام في مصادر
الاسلام زاعما ان الاسلام ملفق من الاديان السالفة واستمد
بذلك الكتاب هؤلاء المقلدون منا .

ومن البين ان الاسلام لم يأخذ دينه من تلك الاديان
وانما صدقها وليس ذلك بعيب على الاسلام بل هو فضيلة له
والة على انه بعيد عن العناد تابع للحق اينما كان يعترف بين الحق

فتبينه والباطل فينفيه وليس النبي مثل النصارى الذين يجرهم
العناد الى رد مثل اعجاز القرآن والحكم على كل كلمة كلمة بالغلط
والخطأ من دون استثناء . وكان الأولى ان يرجع مولانا المعاندون
الى كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية او الى الجزء الاول
والثاني من كتاب المعارف المحمدية المطبوعين في مصر ويبرؤوا
ان الوثنية الباطلة اصل الديانة النصرانية التي هي مبدأ الشقاء
اليوم ، الاولى ان يرجعوا الى امثال هذه الكتب المصرحة بقبح
النصرانية التي طبقت العالم عارًا ووصمت الانسانية بخزاياها
وصمة شنعاء وينكفوا ويكفوا عن اسماع المسلمين سباحهم و
هذيانهم المنكر .

نقد الفصل الثالث

وهو في موارد

١- قولهم : ان في القرآن كلاما اخذ عن الرجال والنساء و الشياطين بلفظه او بشيء من التغيير فهو ليس من وحي الله .

انا لم نثبت هذه العبارة للنقد فانها لا تستحق النظر فضلا عن الانتقاد ولنا فيها من بداءة التغيير والدعوى الصرفة بلا اساس وانما ذكرناها لينظر المسلمون مبلغ تجاوز هؤلاء الفاحشين في حقهم وجرأتهم على القرآن ، لينظر المسلمون ذلك فلا تأخذهم بهؤلاء المجاهرين رأفة ولا رحمة . ولنعاملهم بالمثل حتى ينكفوا عن الباطل الذي اصروا عليه ويرجعوا الى الحق ، وانا كان دين الاسلام يقدس المسيح والانجيل الحق ولا يبيح الكلام فيهما بالسوء فان الانجيل المحرف والمشينين المومنين لا كرامة لهم فانهم عذاب العالم وشقاوته فليشق المسلمون شرهم .

٢- قولهم ان القرآن اخذ قوله فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ من قول عنترة :

فاذا الاديم صفاوت وردة مثل الدهان

هكذا قلتم الدخاوي وكذلك لنكن بيانها ، ان القرآن

مركب من الالفاظ والالفاظ كلها مستعملة عند العرب وانما
امتاز القرآن بتراكيبه وسبكه ونظمه والبلاغة ليست في المفردات
وانما هي في التراكيب والفواصل انما يكون بها . واذا حكمنا
للقرآن بانه اخذ من غيره لمجرد وجود لفظة منه في شعر احد الشعراء
فلا بد من الحكم على كل كلام بانه ماخوذ من سابقه لوجود مفردات
الفاظ الكلام المتاخر في المتقدم حتى ينتهي الى الواضع الاول
او المستعمل الاول فهل يصح هذا الحكم ؟ ولا يخفى ما بين الابنة
والبيت من البون الشاسع في التركيب والسبك ولا يقدح وجود
لفظتين مفردتين من الابنة في البيت على انه لم يثبت ان هذا البيت
لعنترة اذ لم يروه عنه احد وانما وجد في الديوان المنسوب اليه
ولم نعلم صحة نسبته .

وبهذا تعرف الجواب عن قولهم : ان قوله تعالى خلق الانسان
من صلصال كالفخار ماخوذ من قول امية بن ابي الصلت :

كيف الجحود وانما خلق الفتى من طين صلصال له فخار

اذ لا مشابهة بين الابنة والبيت الا بوجود لفظتين منها فيه والبلاغة
انما هي في التركيب بين تركيبهما كما لا يخفى .

٣ - قولهم : واخذ القرآن قصته صالح والناقة وفصلها وغيرها

من انباء العرب . وذكروا ابياتاً لمبدع بن هرم تشبه الى ذلك وليست بمتفقة فى المعنى مع جميع الآيات القرآنية التى ذكرت قصته صالح ولم يكن فى الابيات لاجملة ولا لفظة من جمل تلك الآيات والفاظها فكيف يكون القرآن مأخوذاً من تلك الابيات .

ان اراد وان جملة ماخوذة منها فليس كذلك

وان اراد وان معناه ماخوذ منها فهذا خارج عن موضوع الكلام لان كلامهم فى البلاغة وهى من صفات التراكيب لا المعانى ، ولم يخطر على القرآن ان يذكر آية من آيات الله عرفها بعض العرب فان القرآن لم يدع ان جميع ما ذكره من الآيات لم يعرفه احد من الناس كيف وقد ذكر فى عداد آيات الله النجوم والشمس والقمر والليل والنهار والارض والجبال والنبات والاشجار وغير ذلك مما يعرفه كل احد . على ان ما ذكره مبدع بن هرم لم يكن الا بعض ما ذكره القرآن من قصة صالح .

٣ - قولهم : واخذ بناء خضوع الجن لسليمان من قصص العرب قال النابغة الذبيانى فى مدح النعمان .

ولا ارى فاعلاً فى الناس يشبهه ولا احاشى من الاقوام من احد
الا سليمان اذ قال الاله له قم فى البرية واحددها عن الفند

وخبس الجن انى فداذنت لهم يبنون فدمر بالصفاح والعمد

قوله خبس الجن اى ذللهم انتهى قولهم .

وانت اذا نظرت الى الابيات المذكورة والى سورة النمل وخبرها من الهدهد التى ذكرت قصة سليمان عرفت ان لا مشابهة بين الابيات وبين ما فى القرآن لا فى الالفاظ ولا فى التراكيب والاسلوب ولا فى المعنى فكيف يدعى هؤلاء الاجلاف الا ما كون ان القرآن مأخوذ منه ، نعم تدل الابيات على ان العرب كانت تعرف شيئا من قصة سليمان وهذا لا يثبت شيئا من مدعاهم وليس بعيب على القرآن .

ان يذكر قصة ذكرها بعض العرب بل هذا مما يزيد الاعتقاد بالقرآن حيث ان بلغاء العرب ذكروا قصة فلم تكن لها مزية من البلاغة وذكرها القرآن بعينها فكانت خارجة عن طوق البشر .

٥ - قولهم : واخذ نبأ الخليفة وموسى والمسيح عن اليهود والنصارى وحرف بعضها بجملها من شيطان ام اسبطان او لخداع المناظرين اعتمادا لذلك الاعلى اوراضاء وابها جاله ، ولا موضع فى هذه الرسالة لبيان ذلك . انتهى هذيانهم .

نسئل اودى ما الغرض من قولهم اخذ نبأ الخليفة من اليهود والنصارى هل نداخذه من افواههم فذلك دعوى لا شاهد

عليها لا من التاريخ ولا من غيره وانما اخذ ذلك النبأ من
الانجيل والتوراة فنبغي المقابلة بين القرآن وبينهما، ونحن لما
فحصنا القرآن بهما وجدنا الانجيل خاليًا من كل نبأ الا ما يتعلق
بالمسيح فدلنا ذلك دلالة واضحة على ان ما بايدي النصارى
اليوم ليس هو الانجيل الموحى به من الله وانما هو تاريخ حياة
المسيح لانبا ثوب خرافة ينكره العقل والوجدان فهو تاليف رجال
جاهلين نشاوا بعد المسيح ولم يعرفوا حياته فلفقوا خرافات من
افهامهم اضافوها الى ما سمعوه في شان المسيح وغيره وساعدهم
على نشرها عصور الهمجية والوحشية التي لزمت الاذهان ان
يعتقد ما يخالف عقله ووجدانه. هذا ما يتعلق الانجيل،
واما التوراة فعهدنا بما فيها من نبأ الخليقة ما في سفر التكوين
وهو لا يتفق مع ما في القرآن الا من بعض الوجوه واكثرها فيه
رموز والفاظ مهملة وابن قول التوراة عن بدء الخليقة: في
البدء كانت الكلمة من قول القرآن ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ
دُخَانٌ فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا او كرهًا قالتا اتينا
طائعين ومن قوله: كانتا رتقًا ففتقناهما. ومن قوله: وَمِن
كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

التوراة تذكر الكلمة ولا يدرى ما معناها وما المراد منها وما هى الكلمة ؟ والقرآن يذكر بدء الخليقة واصلها اصولاً فردها بعد نزول القرآن بثبات من الستين المتجردون من علماء الطبيعة والفلك وطبقات الارض امثال لابلاس وانباعه .

ومع هذا البون البعيد كيف يدعى هؤلاء الاغبياء ان القرآن اخذ من التوراة .

ولما لم يجدوا برهاناً على اخذ القرآن من التوراة قالوا : ولا موضع فى هذه الرسالة لبيان ذلك ، ولما بينوا لهذا الغلط والكذب الصريح توغلوا فى الابهام والتمويه فقالوا ان القرآن حرف بعضها . قالوا ذلك لانهم لم يجدوا شيئاً من القرآن ماخوذاً من التوراة وما اشبه هذه الدعوى بقصة هزلية تشغل للفكاهة فلنشغلها نفكها .

قيل ان نصر الدين الهزلى المعروف سئل عن حال السارق انه اتى ليلاً لسرق المتاع فقيل له اذا جاء السارق فى الليل لا يحس اهل الدار بوطء قدمه ، فمضى الى داره ونام ليله ثم جلس اثناء الليل واصغى فلم يسمع صوتاً فنادى باعلى صوته ايها الناس

انفذوني من بيت السادن ولم يزل ينفخ حتى اجتمع عليه جيرانه وفتشوا في الدار فلم يجدوا احدا فقالوا له اين السادن فقال اني لم ار له شخصا ولم اسمع له صوتا فقالوا علمنا ان نفخك فقال لانكم فلتم ان السادن اذا جاء ليلا لا يسمع لوطأ قدمه صوت واني انتبهت الساعة واصغيت ملتبثا فلم اسمع اي صوت فلا بد ان يكون السادن في الدار.

كنا نسمع هذه القصة فنعدها في الخرافات الفكاهية التي يلبق ان تنسب الى المجانين ولم نتصور انسانا يوردها مورد الجد الى ان عثرنا على هذه الرسالة الشافلة فرأينا ان الغضب يوصل اهله الى حالة الجنون، يقولون ان القرآن اخذ من التوراة ولما لم يجدوه موافقا لها قالوا انه حرف ما فيها، اذا كان القرآن غير موافق لها فما الدليل على انه اخذ منها ومن يصدق لهم هذه الدعوى؟ وما بينتهم؟ ولم لا نحكم بان يد التحريف تناولت التوراة والعلم الصحيح انما يعضد القرآن وينفي ما في التوراة كما يتضح ذلك لمن راجع العلوم المتعددة في هذا الباب. ومن الغريب دعواهم ان القرآن حرف ما عند اليهود والنصارى بجهل امر نسيان الخ ودعواهم فيما مضى في الفصل الثاني ان علماء

اليهودية والنصرانية كانوا يساعدون النبي وينصرونه فاذا كان
كذلك فهلا منعوه عن التحريف ؟ وهلا صدوا المنافقين
عن خدعه لاعتاده ، ومما هو غاية في العناد ونهاية في التعصب
ودليل قطعي على ان هؤلاء القوم لا يقصدون الا الباطل وانهم
ينكرون الخير بعد معرفته فلم اعتادوا ذلك الامي ، فكانهم جعلوا
النبي آلة صماء بيد المنافقين وهو مجرد عن كل ارادة شخصية
وغرض وثبات يتلاعب به المنافقون كيف شاءوا والا تراهم
وهذا حكم مخالف للحقيقة والتاريخ ينكره من له ادنى مسكة من
العقل وقد خالف حكم جميع الامم في كل العصور ، فان الناس
اتفقوا على ان محمداً صلى الله عليه وآله ذو ارادة جازمة وعزم
ثابت وجاش مطمئن لا يتزلزل لانه جاء بالدين الاسلامي وحد
وقاوم الوثنية وجهل الجاهلية وثبت امام المكاره والاهوال حتى
ذلل صعبها لعزمه واراده الى ان اذل طواغيت قريش وسخر لامره
سنادة العرب وجبابرتها وكون امة كبرى ثلت عروش الاكاسرة
والقياصرة والحبش والهند واستولت على اكثر المعمور فانهزم
امام سلطانها الاستلاميين وانقادت لعظمتها الملوك ولم يبق في
الارض امة الا وان منها يدين الاسلام خلق كثير فظهر بذلك على

الدين كله ولو كره المشركون . فقد اتفق جميع العقلاء على
ان هذا الرجل اكبر رجل ظهر في العالم وان حادثة ظهوره
واستيلائه على الامم كلها من بين امة كانت مائدة حياتها محكومة
للامم الاخرى اكبر واعظم حادثة عرفها العقلاء بعد خلق الانسان
الى هذا اليوم ، غاية ما في الباب ان بعض المعاندين لم يعترفوا
بنبوته بل قالوا انه نابغ الدهر وواحد . ولكن لما اراد الله
ان يظهر عناد هؤلاء المضلين ساقهم الى هذا القول واظهاره الى
مظهر الابله المسلوب الارادة والعقل والاختيار ليخالف هذا
الحكم جميع العقلاء فيعلموا مبلغ تعصب هؤلاء المجانين وافحامهم
على محو الحق بكل وسيلة وان رد حكمهم جميع العقلاء ولا داعي لهم
الا الحقد والطعن .

لنغض النظر عن جميع ما تقدم وننزل الى تسليمه فماذا
يغني منه وهل ينفي ذلك على تقدير صدقه اعجاز القرآن ؟
والثابت انما هو الاعجاز في البلاغة وهي من صفات الالفاظ
والتراكيب ولا دخل لها في المقصود والمعنى والمراد ، فلو اتفق
كلامان في معنى واحد يمكن ان يكون احدهما بليغاً والاخر غير
بليغ ، واذا سلمنا ان معاني القرآن ومعاني التوراة واحدة فيكون

هذا فضلا اخر للقران حيث انه بلغ حد الاعجاز فى معان لم يكن للنواة بها ادنى فضيلة فى البلاغة .

وبهذا نعلم جليا مبلغ توهمهم فى ما نقلوه عن الانفان للسيوطى من ان القران نزل على لسان بعض الصحابة وذكروا موارد سئل فيها المسلمون النبى فنزل القران بحكمها من الله فانهم ارادوا بهذا حط القران عن درجته فى البلاغة وليس فى ذلك الا التمويه والقول الباطل لان البلاغة كما علمت انما تتبع التراكيب والجمل ولرب جملة تكون بليغة فى مقام غير بليغة فى اخر ولرب مقام يجب افادة السؤال بعينه فى مقام الجواب بحيث لو لم يعد لعد مخلا بالبلاغة ومرجع ذلك الى البلغاء الذين حكموا بخروج القران عن طوق البشر . فيجب على كل مطلب فهم البلاغة فى كلام ان يلاحظ اوله واخره وما حف به من الجمل قبله وبعده والحال التى ورد فيه فرب جملة ترد غير بليغة فى كلام بمناسبة ما بعدها من الجمل تكون بالغة حد الاعجاز فى كلام اخر بملاحظ ما حفت به ، فلا يوجب ورود احدى جمل القران فى كلام بشر الحكم بعدم اعجازها اذا كانت فى القران لانها معجزة بضميمة ما حفت به من الجمل الاخرى . سيما اذا قلنا ان القران بمجموعه

معجز لا كل جملة جملة منه كما هو مختار بعض علماء البلاغة.

على ان هؤلاء المومنين نقلوا عن الاتقان ما لا ربط له في المقام كقول عمر: يا رسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر ولو امرتهن ان يحتجبن فنزلت اية الحجاب انتهى.

وهذا وامثاله لا علاقة له بالبلاغة اذ لم يتكلم عمر باية الحجاب حتى يكون القران اخذها منه كما هو مدعى هؤلاء المومنين فلا وجه للاستشهاد به الا التمويه. وكانهم يطلبون من النبي ان يكون ايكم لا يجيب اذا سئل ولا يحكم في مقام الخصومة والتنازع ولا يوجع اليه في مهام الامور والا فما وجه الايراد عليه في مثل هذا المقام والنبي انما يحتاج اليه اذا كان مرجعا للناس في جميع الشدائد والكوارث والمعضلات والمشكلات من مهام الامور.

وان الله اقتضت حكمته تأييد النبيه اذا اراد ان يوحي اليه حكما يخالف عادات العرب ويشق عليهم ان يلقيه في اذهانهم ويتشوفوا اليه فاذا نزل من عند الله اسرعوا الى قبوله وهان عليهم. ومن ذلك فصله عمر في اية الحجاب لمخالفة لعادات العرب وغيرها من الاثام والاحكام لانه كان اشد الصحابة صلابة في عادات الجاهلية وغيره الين منه جانبا واخفض جناحا فاذا نزل

حكما قبله غيره من الصحابة لا محالة واذا اراد الله تعالى تأييد نبيه بنشر احكامه شوق اليه اصلب الناس الذين يحمل فهم المعاد عنه
ومن هذا الباب قول ابن عمر: ما نزل بالناس امر فقالوا وقال عمر
الا نزل القرآن كما قال عمر. على ان الاتقان ليس بالكتاب الذي
يعتمد جميع المسلمين فلا ينبغي التعويل عليه في قبال اجماع المسلمين
لان اكثرهم ينكرون روايا نرجح انه يعتمد المراسيل والضعاف
من الاخبار.

بقي ما اشاروا اليه في اخر هذا الفصل من الاعتراض على
القرآن بانه قد كرر ذكر بعض القصص. ونحن قد اوضحنا فيما
سلف ان الحال قد تقتضي التكرار فيجب مراعاة قانون البلاغة
والاخلال به حينئذ اخلال بها. وللتكرار هنا فائدة اخرى
وهي بيان ان منزل القرآن هو القدير على ايراد المعنى الواحد في
عبارات مختلفة وكلها بالغة حد الاعجاز فينقطع بذلك عند
من يعتذر عن مباراة القرآن بانه انما عجز عن مباراته لتمام
المعاني التي تطرق اليها ويكون دليلا قاطعا على ان اعجازه ليس
من باب الصدفة والاتفاق وانما هو فعل مختار شاء الاعجاز
ففعله وشاء ويفعل ومتى شاء فعل.

اما قولهم في آخر هذا الفصل ان القرآن لم يدع انه معجز بالبلاغة فقد تبين بطلانه بما اوضحناه سالفا من انه ادعى ذلك ومن انه معجز بالبلاغة وافعا سواء ادعى ذلك او لم يدعه فلا حاجة الى اعادة ما مضى .

نقد الفصل الرابع

(وبذكر في مواقع)

فولهم ان القرآن اخبر في سورة آل عمران ان مريم كانت تقيم في المحراب في الهيكل لان امها نذرتها له لتوقع انها تلد ذكرا مع ان الاناث لم يكن من النذر والمحراب كان محرما دخوله على النساء والرجال الا على رئيس الكهنة في السنة مرة . فالواقع ان مريم في القرآن ملفقة على هيئة قصة حنة ام صموئيل فصها احد خاصة النصارى على حضرة محمد انتهى فولهم

ليفهما ولو كيدهم ينبغي ذكرها في هذه السورة من القصة بعينها وكيكه ليفهما اولئك الاغبياء وهو ان امرأة عمران نذرت لله ما في بطنها محررا اي معتقا خالصا فلما وضعت حملها وجدته انثى فاسفت لانها كانت تتوقع ان تلد ذكرا ومع ذلك سئلت الله ان يتقبلها فتقبلها الله بحسن القبول وكرمها بان انبتها نباتا حسنا وجعل كفيلها زكريا زوج خالتها وكان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا فيسئلها عنه فتقول هو من عند الله .

هذا ما في القرآن وقد قال المفسرون ان اسم ام مريم حنة

وان مريم خصت بهذه الكرامة حيث انها اول انثى قبلت لخدمة
بيت المقدس وان المراد من المحراب هو المسجد نفسه او غرفة عالية
بناها لها وذكريا في بيت المقدس او اشرف مكان فيه .

وهذا ما اردنا ايراده من قول المفسرين فلنرجع الى مذهب
هؤلاء الاغبياء وهو مردود من وجوه .

الاول انهم كذبوا ما في القرآن مستندين الى ما في الانجيل
وبعض شروحه وهذا قول بلا برهان لان النصارى كلهم معترفون
بان ما في ايديهم ليس هو الانجيل المنزل من الله وانما هو ملفقات
وضعها بعد عيسى ببضعة اربعة انفار من كهنة النصارى حكاية
لتاريخ المسيح مستندين الى الاطباف ومع ذلك فقد لعبت بها ايدي
الكنائس والمجامع الدينية طبق رغبات الملوك ودهاء
النصرانية فكيف يصح الاستناد الى مثل هذه الملفقات المحرفة
وبماذا نرجح على القرآن ؟ وللقرآن شاهد على صدقه وهو
اعجازه بالبلاغة الذي اعترف به العرب باسرهم كما سنوضحه مبرهنا
على صدق مدعيه فيما يخبر به . ولو ان شاهد الكذب لم يقم
على ما يتضمنه الانجيل وشاهد الصدق لم يقم على القرآن لكان
العدل هو التوقف عن الحكم في مثل هذه القضية التي لم يؤيدها

كتاب تاريخ ولا اثر فكيف وبرهان صدق القرآن ساطع وكذب ما يتمونه العهد الجديد اشهر من كذب ابليس اللعين فما الاخذ به وترك القرآن الا اخذ بالباطل المحض وترك للحق الصريح وما ذلك من مؤلاء المبطلين بعجيب .

الثاني فولهم ان هذه قصة ملفقة على هيئة قصة حنه ام صموئيل . ان الذي في القرآن انها قصة مريم وامها والمفسرون قالوا ان اسمها حنه اما كونها ام صموئيل فلا اصل له الا بتحمة قصاص الاخبار في ادمغة اولئك العهديين الذين كانوا يرون الانجيل في النوم ليلا ويقصونه على تلامذتهم نهارا .

الثالث فولهم قصتها بعض غامة القصاص على حضرة محمد وهذا ينافي ما قالوه في الفصل الثاني ان علماء النصارى كانوا يؤيدون النبي ويساعدونه وينصرونه فما الذي اوجه الى الغامة حتى تبلغ منهم الاخبار ولئن كان كما يدعون فلما ذا لم يعارض علماء النصارى هذه الاخبار من اول الاسلام وقد قصدوا لمعارضة النبي بكل ما يستطيعون كما سافه نجران وفسوس الروم . وما بالهم سمعوا هذه الاباطيل فلم يبعهم الا

الاذعان وهبا الايمان .

الرابع كذبهم على القرآن حيث قالوا ان القرآن اخبر ان مريم كانت تقيم في المحراب في الهيكل وقد علمت ان القرآن لم يذكر الهيكل ولم يتعرض له ولا تعرض لاقامة مريم فيه انما قال : كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ولم يعلم ان المحراب كان هو الهيكل بل ذكر المفسرون ان المحراب اسم للمسجد او غرفة عالية بناها لها زكريا . فما دعاهم الى هذا الكذب الصريح وكيف لم يأخذهم منه الحياء ، واني للمتهمكن بالفجور والاباحة الحياء .

الخامس اهانتهم لمريم حيث جعلوها كاحدى النساء فكما حظر عليهن دخول الهيكل حظر عليها والقرآن قد اجلها واخرجها حيث منزها عن النساء وقال فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا . وذلك ان النساء لم يكن ندذرهن لسدانة بيت المقدس شرعا وهذا سبب تحرام مريم لانها وضعت انثى واعتقدت الجبنة في ندرها لكن الله تعالى لم يخبها بل قبل منها ندرها ومنزها لذلك مريم عن جميع نساء العالمين وما كنت احسبان التعند والاصرار على الباطل يبلغ بهؤلاء المعاندين

مبلغا بوصلهم الى اهانة الانبياء والمقربين ولكن هؤلاء المتكبرين
صمموا ان يعرضوا على القرآن ولو انتهى الامر والعياذ بالله -
الى اهانة المسيح وامه انقذنا الله واعاذنا من هؤلاء الاشرار
ومن شرورهم .

٢ - اعتراضهم على ما جاء من قصة زكريا فى سورة مريم والخصوص
فى ثلاث مواضع . قالوا

الاول فى سورة مريم ان الله خاطبه وهو غلط لان فى الانجيل
ان الذى خاطبه ملاك الرب . قلنا ان القرآن لم يصرح فى سورة
مريم ان الذى خاطبه هو الله ولين فى هذه السورة من خاطبه
والينا انه سورة مريم وهى : يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى
ولم يذكر ان المنادى المبشر هو الله بلا وساطة ملك او هو الملك
عن الله وقد فسر القرآن ذلك فى سورة آل عمران واوضح ان
المخاطبين لزكريا كانوا من الملائكة بقوله تعالى . فنادته الملائكة
وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله
هذا ما جاء فى القرآن فاين قولهم ان الله هو الذى خاطبه ؟
وهل من قرآن غير هذا القرآن يعرفه النصارى ولا يعرفه المسلمون
ذكر ان الذى خاطب زكريا هو الله فاعترضوا عليه ، انى تركت

الحكم هنا لكل قارىء له ادنى تمييز فليحكموا ما جزاء هذا الكذب الصريح من هؤلاء الاشراد ؟ قالوا :

والثاني ان ذكريا كان في المحراب اي قدس الاقداس وفي الانجيل انه كان واقف - كذا - عن يمين مذبح البخور . قلنا ان الذي في القرآن ان ذكريا كان في المحراب ولم يذكر انه كان في الهيكل قدس الاقداس والمحراب اما نفس المسجد او غرفة فيه فما هذا الكذب الصريح على القرآن اما لهؤلاء السفهاء عديمي الحياء من وازع عن الكذب ؟ قالوا :

والثالث ان الايه في القرآن - ايه ذكريا - كانت ان لا يكلم الناس ثلاث ليال او ثلاثة ايام على الخلاف بين السورتين - سورة مريم وسورة العمران - وفي الانجيل انه كان صامتاً مدة الحمل وثمانية ايام بعد الولاده . وقالوا قبل ذلك : ان هذا الاختلاف دليل على غلط القرآن . قلنا اما ذكر الليالي في سورة مريم والايام في سورة ال عمران فليس باختلاف لان الايام لها ليال فاذا القرآن ان يذكر ان ايه ذكريا كانت الصمت ثلاثة ايام بلياليها ، واما الفرق بين القرآن والانجيل فهو دليل على غلط الانجيل خصوصاً وانه طيف خيال مملوء بالخرافات والقرآن ايه الله على خلقه ومعجزة

نبيه التي عجز عن الاتيان بمثلها جميع الفصحاء والبلغاء . فكيف يكذب هذا ويصدق ذلك وكل اختلاف بين القرآن والانجيل فالصدق في جنب الاول والكذب في جنب الثاني . وبهذا نعرف دفعاً ثانياً للاعتراضين الاولين . وقولهم بعد ذلك : ولعل كثرة هذه الاغلاط حملت بعض علماء الاعلام على القول بالمحال هو تحريف لفواه . والانجيل مع ان القرآن صدقها واعتمدها انتهى قولهم . وقد بينا لك ان علماء النصارى انفسهم معترفون جميعاً بتحريف لفواه وانتفاع الانجيل بعد قتل المسيح وان ما بايدي الناس اليوم مما يسمونه بالانجيل ليس هو ما جاء به المسيح وانما هو خلاصة وقائعها التلاميذ على تلاميذهم بعد المسيح فكيف يكون القول بتحريفها محالاً وما هو وجه الاستحالة ؟ نعم قد يكون لها وجه بالنسبة الى الانجيل لان التحريف يغير الاصل بالزيادة والنقصان فهو متوقف على وجود الاصل والانجيل لما كان اصله مفقوداً من الارض او ارتفع الى السماء - كما يقول النصارى - فتحريفه مستحيل . وانما هو كذب من اصله على الله والمسيح واختلاق بقي قولهم هنا ان نبأ اسكندر ذي القرنين اخذه القرآن عن الانباء التاريخية وهو كثير الاغلاط واحكام الحال ومثله بعض الانباء

في القرآن . وهذا القول مما يكشف جليا عن مبلغ تعصب وعناد
هؤلاء المعاندين المتعصبين واصرارهم على الباطل وان عارضهم
الف بينة وبرهان . فانهم لما راوا بعض انباء القرآن موجودا اصله
في التوراة قالوا فيه ما قالوه مما اوضحنا بطلانه . وحين نظروا
الى بعض انباء الغيب التي جائت في القرآن ولا اثر لها في التوراة
مثل قصة ذي القرنين واصحاب الكهف وقرنه اطاكيه مع
صاحب يس وعاد وثمود وسيل العرم وغيرها قالوا انها
اخذت من الانباء النابغية . كان مكة التي نشأ فيها النبي صلى
الله عليه واله كانت مكدونية اليونان او بغداد الغرب او
حمراء الاندلس او باريس الافرنسيس او لندن الانكليز فيها من
المجامع العلمية وكبار المكتبات ما لا يعد ولا يحصى . وكان النبي
كان احد اساتذة التاريخ في تلك المجامع قرأ ودرس وعلم ثم
قص القصص على قومه بذلك السياق . لو كانت مكة كما قلنا وكان
النبي كما وصفنا لكان لما ذكروه وجه اما ومكة بلد قاحل في جزيرة
قاحلة يقطنها اناس اميون جبل علمهم اشعار بدئنا قلها افواه الرجال
واكبرها لهم البعير واوسط اكلهم العنذ والنوى ولغو الدم المسفوح
على الارض يتحكم فيهم الفرس والروم والحبش . ومحمد نشأ بينما

ودعى القمر اجرا واكتسب بالنجاح لامرئ من دنياء مكة ولم يعرف
عنه انه تعلم عند احد ، اما والامر كذلك فلا مجال لان يقال ان
ما جاء به كان من الانباء التاريخية وانى له بالتاريخ وفى اى زمان
حصله ، لتنازل عن ذلك ونقول كانت فى مكة من المدارس
اضعاف ما فى نيويورك الان وكان محمد استاذها فاردنا كلاما
واحدا فاى لغة كان ذكر قبل القرآن قصة اصحاب الكهف و
صاحب بن لنسلم ان النبى قرء ذلك الكتاب . واضف الى ذلك
ما جاء به من الحكم والاحكام الفلسفية والاجتماعية وشبانه فى
الدعوة الى التوحيد ومناوءته دين قومه الوثنية وقارن ذلك
بمنشأه وتربيته تتفقد كل برهان ان جميع ما جاء به انما هو
من عند الله تعالى ولم يكن هو - صلى الله عليه واله - الا واسطة
تبليغ الوحى الى الناس اكرمه الله بذلك وشرفه على جميع خلقه
ولو كره المشركون . اما قولهم ان قصة اسكندر مملوءة بالاغلاط
واحكام المحال فهى ادعاء لم يؤيدوه ببرهان ولم يذكروا اين يوجد
منها الغلط واحكام المحال والى اى كتاب استندوا فى تغليطها وما
ليس بموجود فى التوراة . فلنترك هذه الدعوى على مدعيها
المبطل الى ان يبرز حجته فندحضها .

٣ - اعتراضهم فى هذا الفصل من الوجهة اللغوية على ما جاء فى سورة آل عمران من قصة مريم وان كان خارجا عن سياق الفصل لانهم عقدوه لبيان غلط القرآن - على ما يزعمون - فى انباء الماضى وقد ذكروا الاعتراض فى ثلاث موارد الاول قولهم :

وفى هذه السورة ركاكة وابهام كثيرة منها - كذا - وليس الذكر كالانثى وهذا تحصيل حاصل فليس له من فائدة كقولك ليس السماء كالارض . قلنا لا مجال اولا لهذه الاعتراضات للا لما ببناه فى اخواتها من ان العرب صدقوا واذعنوا لهذه الآيات مع اطلاعهم على الاحوال التى نزلت فيها ومقتضياتها ، وثانيا لو سلمنا ان معنى الآية كما ذكروا فلا يبقى ذلك ابهاما ولا ركاكة بل معناها واضح بين لا ابهام فيه وتركيبها صحيح متين لا ركاكة تعتريه وانما يدخل فى جملة الكلام الفاصل الفائدة كما ذكرنا فى جميع كتبنا العربية . وثالثا انا قد بينا فيما سلف ان من جملة نموه هؤلاء المتوهمين انهم يقطعون جملة من كلام فيعترضون عليها وان هذا نموه محض مخالف لاصول البلاغة وقوانينها فان الكلام البليغ انما تميز بلاغته بلحاظ ما حف به من الجمل وقارنه من الاحوال فرب جملة تعد غاية من الفائدة بل المهملة اذا لوحظت وحدها ، وتكون

كاملة الفائدة في اعلى درجات البلاغة اذا لوحظت بما انضم
اليها من الجمل ومن ذلك هذه الجملة . فانك لو قلت ليس الذكر
كالانثى مجردا عن كل شئ لكانت جملة قليلة الفائدة . لكنك
لو قلتها معارضا لمن يدعي مساواة المرئة للرجل في جميع الحقوق
- كما يدعيه فريق من اهل هذا العصر - لكانت جملة كبيرة
الفائدة - فالحظ هذه الآية بما بحثت به من الآيات تجدها
وقعا عظيما . فان ما حكاه القرآن من قول ام مريم : رب انى
وضعتها انثى وليس الذكر كالأنثى وانى سميتها مريم وانى اعيذها
بك وذريتها من الشيطان . كلها لا فائدة فيه ان كان الغرض
منه الاعلام لان الله اعلم بذلك كله . ولكن اغراض الكلام
فائدته لا تنحصر في اعلام المخاطب اصل الحكم كما ذكر البيانيون
بل قد يكون الغرض من الكلام اعلام المخاطب ان المتكلم نفسه
عالم بالحكم وربما لازم الفائدة او التحسر او التهديد او الوعيد
او التهكم او التفجع والتفجيع او غير ذلك .

من الاغراض التي ذكرها البيانيون والاصوليون وجبلت عليها
طبايع جميع البشر في محاوراتهم ومنها جلب عاطفة المخاطب و
رحمته . وام مريم لما كانت تعتقد ان للذكر افضلية على الانثى

انثى وكانت الانثى لا تقبل لسدانة بيت المقدس فكلمت بما كلمت تحسرا لخيبتها واسجلا بالرحمة الله فى قبول مولودها كما تشعى الناعية فى مصابها وتستغث الملهوفة فى تلهفها بكلا بعلمه كل سامع او كما يفزع الداعى الى الله فى استنزال رحمته بذكر حاجته والله يعلم بها . فقولها وليس الذكر كالانثى بيان لحال مولودها تحسرا وتضرعا واستعطافا وهذا على غاية ما يمكن ان يكون من البلاغة فى هذا المقام ولكن كيف المحيلة فى افهام هؤلاء القوم الذين لا يعقلون ويعمدون الى الموجبة فيذكرون الابنة منقطعة عن ما قبلها وما بعدها كان القرآن منحصر فى نحو واحد لا يجشون ان يراها غيرهم فينكشف تمويههم . والثانى قولهم :

انى وضعتها انثى بضمير الانثى - كذا - يصيرون المعنى انى وضعت لانثى انثى فبالله ما هذه البلاغة التى يعجز عنها الانس والجن . انتهى قولهم . قلنا قاتلكم الله هؤلاء القوم فانهم لا يعقلون ، يقولون بضمير الانثى تمويها واللازم ان يقولوا بضمير الاناث ثم يقولون يصيرون به المعنى انى وضعت الانثى انثى وليس كذلك بل معناه انى وضعت ما فى بطنى انثى لان الضمير لا يعود

على متأخر ليكون المعنى كما ذكرنا وانما يعود على متقدم و
المتقدم انما هو ما في قوله تعالى : رب اني نذرت لك
ما في بطني فلما كانت تقدر ان يكون ذكرا قالت محررا بضمير
المذكر لا محررة ولما وضعتها وراتها انثى اعادت اليها ضمير
الاناث فقالت وضعتها اي وضعت التي في بطني والخلاصة
ان ما الثانية موصولة بمعنى الذي نائبة للمذكر وبمعنى التي اخرى
للمؤنث فاذا كانت للمذكر جاز اعادة ضمير الاناث عليها مراعاة
للفظها فانه مؤنث واعادة ضمير المذكر عليها مراعاة لمعناها ومنه
قوله تعالى محررا اذ كانت تخبب ان حملها ذكر ، واذا كانت
ما بمعنى التي تحتم اعادة ضمير المؤنث عليها كقوله تعالى وضعتها انثى
فانها بعد الحمل علمت ان حملها انثى فما مؤنثة لفظا ومعنى ولا
يصح الا اعادة ضمير المؤنث عليها . ولكن هؤلاء الاجلاف
ذكروا وضعتها انثى منقطعة عما قبلها تهويلا فقالوا ما قالوه تعنتا .
على ان هذه الآية لو كانت وحدها منقطعة عما قبلها لما كان
لما ذكروه مجال فان ضمير المفرد المؤنث والمفرد المذكر لهما شأن
غير شأن الضمائر لانه ضمير المؤنث مثلا كثيرا ما يستعمل اشارة
الى معنى اما مشاهد محسوس او منصيد من خلق الكلام كقول

العظامى

هم الملوك وابناء الملوك لهم والآخذون به والسابقة الأول

اى الآخذون بالملك

وكقول الشاعر

اذا نهى السفيه جرى اليه وخالف والسفيه الى خلاف

اى الى السفه

وقد يكون معاد الضمير مفهوما من القرائن الحالية وقد جعلت

اسماء الكناية فلا يكون له معاد ومنه ضمير الشأن ولذلك

يقع الضمير فى ابتداء الكلام مفسرا بما بعده كقوله

هى المعالم البلها بد الغير وصارم الدهر لا ينفك ذا اثر

وكقوله

هو الحب فاصبر بالحشى ما الهوى سهل

وما اختاره مضنى به وله عقل

ولذلك نظائر فى اللغة العربية وقد جمعها علماء البديع

فصولا مهمة فى ابواب مختلفة فلو ولدت امرأة وقلت اسمها سلمى

مثلا لم يكن معناه اسم سلمى بل معناه اسم هذه المرأة سلمى

وكذلك فى الابنة لو كانت ابتداء فان معناها يكون حينئذ ضمير

الجمل انثى لا وضعت الانثى انثى كما توهم به هؤلاء الموصوفون .

والثالث قولهم :

ومن ذلك وانثها نباتا حسنا وقد قرنها فيه . قلنا وقد قرنها في قولهم من الجمل والخبط والخطاء والخلط والنوبه فلا نعيد ذكره الا ان هنا خطأ كبيرا يضحك الثكلى ويكشف عن مبلغ جهلهم الفاضح . وذلك ان المفعول المطلق يأتي لاحد ثلاث معان (١) تاكيد الفعل (٢) للعدد ولا كلام لنا فيهما (٣) للنوع كجلست جلسة الامير وهذا الضرب من المفعول المطلق يأتي على قسمين الاول ان يبين نوع الفعل بحسب صورته ولا بد ان يكون مصدره موافقا لفعله كقولك اجلسته اجلاس الامير اذا كان المراد به بيان نوع الاجلاس الثاني ان يكون المراد به بيان نوع الفعل بحسب مادته دون هيئته ولا بد حينئذ ان يكون المصدر من الثلاثي وان كان فعله رباعيا كقولك اجلسته جلسة الامير اذا كان الغرض بيان هيئة الجالس لا المجلس ولا يصح في هذا المقام ان تقول اجلاس الامير لان المعنى ينقلب فيفهم بيان هيئة المجلس في اجلاسه وهو خلاف المراد . والا نه هنا لبيان

نوع البيان لان المراد ان بيانها حسن لا انيانها فلا يصح
الاتيان بالمصدر الرباعي هنا ولو اتى به لافهم خلاف المراد
الا ان هؤلاء الجاهلين لا يعباؤن بذلك لانهم لا بد ركون
منه اندفائق من الكلام ، فليذهبوا بجهلهم وغبظهم فانهم لله
اتى يؤفكون

خاتمة

فى بيان وجه اعجاز القرآن اجمالا ودفع شبهات المعاندين بجملة واحدة

قد تبين من جميع ما قدمنا ان هؤلاء المتوسوسين الضالين المضلين لا همّ لهم الا محو الحق وترويج الباطل ولا وسيلة لهم الى ذلك الا الكذب والبهتان والتزوير والتمويه والجهل الفاضح والتعصب الاعمى وهل يعضد الباطل غير ذلك ؟ ولكن حيث كان جميع ما ذكرناه هو فى مقام الرد كان مشوشا غير منتظم فلا بد من ذكر وجه الاعجاز اجمالا ودفع شبهات المبطلين جملة واحدة ليستقر ذلك فى الفكر ويرتفع به التشوش دحضا لتلك الشبهات الباطلة وتتم الخاتمة فى فصلين .

الفصل الأول

فى بيان اعجاز القرآن اجمالا

القرآن آية الله الباقية فى ارضه وحجته الدائمة على خلقه

ومعجزته المصدقة لنبوته ولو اردنا بيان وجه اعجازه بالتفصيل لافتقر الى عدة مجلدات ضخمة ولما انتفع به جميع الناس فانه يفتقر الى اتقان جميع فنون اللغة العربية اتقانا كاملا ونجاح الى اتقان كثير من العلوم العقلية وغيرها وهذا لا يتسنى لكل احد خصوصا بعد ان فسدت اللغة العربية وبدلت اللغة الفصحى باللغة العامية الدارجة ، ولذلك يجب ان نسلك في هذا الامر اقرب الطرق التي بفهمها العامة والخاصة والاغبى والفاذ وكل من لم يحرم نعمة العقل والفكر فنقول :

الخبر اذا بلغ حد التواتر افاد القطع ونفى عنه احتمال الكذب والشك فيه حينئذ مجازف او مجنون . فنحن نعتقد بوجود باريس مثلا وان لم نرها لان الخبر بوجودها قد بلغ حد التواتر واذا شك احدنا في وجودها وسمناه بالجنون بلا تردد .

ولدينا عدة اخبار متواترة يفيد مجموعها القطع باعجاز القرآن (١) ان محمدا ادعى النبوة (٢) الثاني انه اتى بالقرآن (٣) انه تحدى العرب به وطلب منهم معارضته (٤) انهم عجزوا عن ذلك ولجأوا الى السيف واختاروا الموت على معارضة القرآن (٥) ان محمدا نشأ في بلاد جاهلة لا تعرف شيئا من العلم وقد توفي

فى احط اقسام الوثنيه (ع) ان القرآن الذى جاء به محمد اشتمل على قوانين لحفظ النظام ومسائل فى التوحيد واخبار عن الامم السالفه وحوادث اخبر عن انها ستقع بعد الاخبار بها ولم يكن العرب يعرفون شيئا من ذلك .

هذه الاحكام السنيه ثبتت بالتواتر القطعى والحس والوجدان فلا يمكن النزاع فيها الا من مجنون . وهى تدل دلالة قطعيه على ان القرآن من الله تعالى اذ لو لم يكن منه عز اسمه لكان لا محالة من احد البشر ولو كان من احد البشر لما كان لعجز جميعهم عن معارضته وجه مع انهم طلبوا معارضته لانهم جدوا فى ابطال نبوته محمد التى خالفت هواهم وعقائدهم وقد اقام القرآن دليلا على النبوه ولو كانوا يقدرون على ابطاله لاسرعوا اليه ولكان اخف عليهم واهون من بذل نفوسهم وذراريهم واموالهم للقتل والاسر والاغتنام ولكنهم عجزوا عن المعارضته فلجأوا الى مشاقى الحسام حرصا على بقاء لبيضهم ومعقداتهم وعاداتهم .

واذا اضيف الى ذلك مزاحاة المحيط الذى جاء به النبى وانه اجمل محيط كان على الارض وانبس بالغالبيم التى جاء بها وانها

اسمى واعلى تعالبم ظهرت فى الارض علم علمنا يقينيًا ان محمدًا صلى الله عليه واله لم يكن جاء بشئ من عنده وانما هو من الله تعالى اذ يستحيل على بشر نشأ منشأ النبى ان يجئ بما جاء به .

هذا ما ثبت بالتواتر وبناسب هنا ان ننقل بعض اراء العرب فى القرآن وعجزهم عن مناظرته .

كان لبيد من اشعر شعراء الجاهلية وابلغهم فلما سمع القرآن اسلم وترك قبل الشعر تعظيمًا لامر القرآن فقيل له ما فعلت قصيدتاك فقال ابدلنى الله بهما سورة البقرة وآل عمران .

ولما سمع الاعشى بالقرآن مدح النبى صلى الله عليه وآله بقصيدة قال منها

الم تغتمض عيناك ليلة ارمدا وبت كما بات السليم مسهدا

نبى يرى ما لا يرون وذكره اغار لعمرى فى البلاد وانجدا

واقبل لبسلم فدافعه قريش واخذوا يجدثونه باسوء ما يفدون عليه وقالوا انه يحرم علينا الطيبين الخمر والزنا فقال قد كنت وما لى فى الزنا من خاجة فلم يزالوا به حتى لحاؤه الى الهتف الى اليمامة ومكث فيها قليلا حتى مات .

وكان الوليد بن عقبة سيد بنى مخزوم من ابلغ العرب فقال

يوما لقومه : والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من
كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة
وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت
قريش صبا - اى اسلم - والله الولبد والله لبصبأن قريش
كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما
احماه فقام فاتاهم وقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق
وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يحدث بما يحدث به الكهنة
وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه
كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم
لا فقالوا له فما هو ففكر وقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين
الرجل واهله وولده وموالية وما يقوله سحر يؤثر عن اهل بابل
ففرقوا متعجبين منه . وكانت هذه الكلمة على خلاف عقيدته
التي اليها ابو جهل ولذلك اثرت على خاطفة اثرا كبيرا وجائت
مضادة لما لكنه من الشهامة والفتوة فظهر اثرها على وجهه فانه
يعبد ان تفرق عنه الناس كانه ندم على قوله ان ما يقوله سحر ونفى
معذب الوجدان فنظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه مدبرا وذشا
مستكبرا لما خطرت بباله تلك الكلمة التي اليها ابو جهل خلاف

عقيدته .

ولفحول البلغاء نصريحات عظيمة ومواقف فى بلاغة القرآن يوقن من يطالعها ان العرب وقفوا موقف العجز والحيرة امام تلك المعجزة التى سلموا بها ولم ينكرها منهم احد ، ولقد صرح كثير من فطاحلة بلغائهم ان اعجاز القرآن هو الذى دعاهم الى الاذعان والايمان والدخول فى الاسلام ولا مجال هنا لنقل تلك الاقوال والخطب التى اوردها ومن شاء الاطلاع عليها فليطلبها من موارده ا ليعلم ان معجزة القرآن لم تكن بمثابة يشك فيها احد منهم بل كانت لديهم اوضح من معجزة موسى وعيسى وسائر الانبياء لامد عصرهم .

الفصل الثانى

فى دفع جميع ما اورد على القرآن من الشبه

ان جميع ما ذكره النصارى من الايرادات على القرآن سواء كان فى هذا الكتاب او فى غيره كان ذكره علماء المسلمين فى كتبهم واجابوا عنه بالتفصيل . فجاء القسيسون ونقلوا الاسئلة بصون الايراد وتركوا الاجوبة فاذا اردت ان تعرف تفصيل الجواب عن كل ايراد فارجع الى الكتب الاسلامية تجد ذلك فيها مفصلا . ونحن نريد فى هذا المختصر ان نجيب جوابا اجماليا عن جميع الايرادات من اقصر الطرق بحيث لا يحتاج معه الناظر الى تحصيل علم او زيادة تتبع . ولا بد من ذكر ذلك بعد معرفة انواع الاعتراضات .

النوع الاول - الاعتراضات التى ترجع الى فنون اللغة العربية كادعائهم وجود اللحن وما بينا فى الصرف والبلاغة فى القرآن . وهذه الاعتراضات باسرها لا مجال لها لما بينه العلماء بالتفصيل من ان ذلك كذب على القرآن . ولكن الذى نذكر فى جوابه هنا هو ان مرجع القواعد العربية والبلاغة الى اهل اللسان

العربي و بعد ان حكموا بان القرآن تجاوز حد البلاغة
الى ما يعجز عنه البشر لا يبقى مجال لغير اهل اللسان في تخطئته
وتغليطه والحكم بمنافاته للبلاغة .

النوع الثاني المناقشة في اعجاز القرآن من وجوه اعتبارية
كوجوب كون المعجزة ظاهرة للعيان وكقولهم ان تفرد النبي به
لا يكون دليلا على اعجازه وغير ذلك والجواب عنه واضح مما
بيناه وخلاصته ان المدار في الاعجاز على عجز البشر عن الاتيان
بمثل المعجز مع تحدي النبي به وطلب معارضته والقرآن قد
فاق معجزات جميع الانبياء لانه اعجز البشر بتمامهم قاطبة دون عليه
وهو الكلام البليغ وذلك ابلغ في الاعجاز من اعجازهم باحياء الموتى
مثلا مما لم يكن جنسه مقدورا لهم وشرف الله القرآن على جميع معجزات
الانبياء ببقاء ذات المعجزة الى يوم القيامة وان لم يظهر وجه
اعجازها الا للمتبحرين من العلماء في هذا الزمان بعد ان كان
ظاهرا لجميع البلغاء الذين كانوا في عصر النبي مشاهدين للاحوال
التي نزل فيها القرآن ومقتضياتها .

النوع الثالث مما اوردوه على القرآن مما يتعلق بنقله اخبار
الماضين وخلاصته ان القرآن اخطأ في النقل لانه يخالف

لثانى كتاب العهدين والجواب عنه ان اعجاز القرآن دليل
على صدقه وكتاب العهدين لا شاهد على صدقه بل
الشاهد على كذبه موجود فيه وهو التناقض الصريح
الموجود بين قرائنه ، وقد اعترف علماء النصارى انه حرف
مرارا عديدة فكيف يصح الاعتماد عليه وتخطئة القرآن
الذى عجز من مثله الانس والجن . واظهره الله على جميع
الكتب السماوية ولو كره
الكافرون .

تقديم الكتاب

الى سيدى الفاضل العلامة المحقق حجة الاسلام الشيخ محمد نجل مولانا وعمادنا شيخ الفقهاء والمجتهدين آية الله الكبرى الشيخ محمد مهدى الخالصى اقدم هذا الكتاب :

سيدى !

لئن قدمت اليك الناس فى منفاك بمخلفات الوسائل فخير وسيلة اتقدم بها اليك نفد كتاب حسن الايجاز ، ذلك الكتاب الموءود المزود الذى رايتك متاثرا من مطالعته وارجو ان يخفف هذا النقد شيئا مما اصابك عند رؤيته جزاء اولئك المعاندين على الحق ، لا لانى احدثت النقد بل لانك تجد من مواليك طالبا فى المدرسة النجاتية يهتم بامر الدين ويدع الملحدين ، وذلك لامر فى تصحيح ما تراه محتاجا الى التصحيح فانى معترف بقصر الباع وقلة البضاعة ، وغاية ما ارجوه قبولك هذه الهدية وان كانت هدية الهدهد لسليمان

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته غرة رجب ١٣٤١

(ابراهيم الخراسانى احد طلاب المدرسة النجاتية)

صحيفه	سطر	خطاء	صواب
٣	٩	فن	من
٥	٣	عن ادن	عن ان ادن
٦	١٢	عن الاهبة	من الاهبة
٧	١	جامعه	الجامعة
″	١٠	انقناض	انقناص
″	″	فلم ادا	فلم ادَ
٨	٣	ف	ان
١١	١	ببطلا	ببطلانه
١٢	٧	المصاف	انصاف
١٣	١٠	الصران	الصرف
١٥	٤	اغنال	اغناك
١٦	٥	البه	آله
١٧	″	ما فى جاء	ما جاء
٢١	١	انبالا	الا انبالاً
٢١	٢	لبنهيج	لبنهيج
٢٣	١	دعم دجمهم	دعم جمهم
٢٣	٤	دضوح	دضوخ
٢٤	٢	البخان	الحنان
٢٤	٣	كنانه	كنابه
٢٨	٤	نخطص	نخض
٣٢	١٤	فى	دفى
٣٥	٤	ان	على ان
″	٩	بحدى	نحدى

صحيفه	سطر	خطا	صواب
٣٢	١٧	الموانع	الوانع
٣٩		الحص	الحض
٥٤	١٤	علبا	عليه
٥٧	٢	باستكاف	باستنكاف
٦٦	١٧	توضع	بوضع
٦٦	١٥	بخد	بخده
٦٦	١١	حدثث	حدثث
٦٧	٧	لما	ولما
٦٩	٧	وادعى	وادعى
٧٥	١٥	الهاذبن	الهاذبن
٧٦	١٧	منشاء	منشاه
٧١	٨	احذ	احد
٧٢	٤	امثان	امتازبه
٧٤	١٥	ان	او
٧٦	٦	المجنز	المعجز
٧٨	٢	للمجنز	المعجز
٧٦	٦	اخرى	اخرى
٧٦	١٧	بحكم	نحكم
٧٩	١٤	الاثبات	لاثبات
٨٨	٧	نفضل	نفصيل
٨٢	١	العلم	لعلم
٨٤	٢	طرف	طوق
٦٦	٢	مثل	نقل

صحيفه	سطر	خطاء	صواب
٨٢	١١	وانتفوا	وانتفوا
٨٥	٨	العجان	الحجاز
٩٣	٩	بهمونهم	بهمونهم
٩٤	١٥	ضانزن	ضانف
٩٥	٨	فان ما	فان
١٠١	٧	ننشاء	نشاء
١٠٢	١٦	نزلنا	نزلنا
١٠٥	٣	الثانيان	الثانيتان
١١٧	١٧	مدعى	مدحى
١١٧	١٧	جل	حل
١٢٢	١	لامود	لامورة
١٢٨	١٠	نما	انما
١٣٥	٤	بصفائر	صفائر
١٣٥	١٥	وحصنه	وخصنه
١٣٥	١٩	وعلهم	وعلهم
١٣٨	٨	وبيان نفعها ربها	بيان انها نعمة
١٤٢	٣	برأسه	برأسه
١٤٣	١١	الامقال	الامثال
١٥٠	١٠	مستفيما	مستغيثا
١٥٤	١٢	غيرهم	غيرها
١٥٧	٩	شناد	شنار

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
١٥٨	١٧	بنباتها	ببناتها
١٧٣	٣	الطبيعيه	الطبيعه
١٧٥	١٣	ثلث	ثلث
١٧٥	٣	ماده	مدة
١٧٦	١١	والطعن	والطعن
١٧٦	١٢	لنعض	لنغض
١٧٧	١٣	عنه	فيها
١٨١	٩	لبغتها دراندة)	. . . .
١٨٣	١٦	لمعارضته	معادضته
١٨٦	١	لكمل	لكل
١٨٨	١٣	وضعنا	وصفنا
١٨٩	٥	فادرونا	فادونا
١٨٩	١٣	فني	فهو
١٩٠	١٧	بل الهملة	بل مهملة
١٩١	١	لوخطت	لوخطت
١٩٢	١١	بعد الحمل	بعد وضع الحمل
١٩٨	٨	بجهم	بجهم
١٩٩	١٧	وبئس	وفهس

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 074438522
BP194
.1
.xK48